دراسات فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

فى تاريخ مصر القديمة

الجزء الثانى

من الأسرة الحادية والعشرين حتى نهاية العصر الفرعونى ودخول الإسكندر مصر

الأستاذ الدكتـــور

محمد على سعد الله

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠١١



دراسات في تاريخ مصر والشرق الادني القديم

في تاريخ مصر القديمة

الجزء الثاني

من الأسرة الحادية والعشرين حتي نهاية
العصر الفرعوني ودخول الاسكندر مصر

الاستاذ الدكتور
محمد علي سعد الله
استاذ تاريخ مصر والشرق الادني القديم

2011



الجزء الثا ني

من الاسرة الحادية والعشرين حتي نهاية العصر الفرعوني ودخول الاسكندر مصر

الفصل الثالث

عصر الانتقال الثالث
الأسرات من ٢١ - ٢٤

أولاً: عصر الانتقال الثالث الأسرات من ٢١ ـ ٢٤

الأسرة الحادية والعشرون

تقديم

يتجه معظم الباحثين إلى التركيز على أخريات عهد رعمسيس الحادي عشر في دراستهم لظهور أسرة الحكام الكهنة ذلك أن كبيرهم حريحور قد لعب دورا رئيسياً في تأسيس تلك الأسرة منذ ظهوره بقوة على مسرح الأحداث في العقد الأخير من عهد آخر الملوك الرعامسة.

والواقع فإن ذلك الوضع الشاذ في توحد مصر العليا مع النوبة والذي حظى بالسيطرة على مقدراته من قبل المدعو بانحسى، نائب الملك في النوبة، قد بدأت تنتظم معالمه في حالة من التوافق مع الوضع الراهن، وهو الأمر الذي تحقق بظهور حريحور الذي لم يكن الكاهن الأعلى لآمون فحسب بل قائداً عسكرياً بلقب "القائد الأعلى لجيش كل مصر" وكذا نائب الملك في النوبة. إذ حل حريحور بسلطانه المخولة له على مصر والنوبة محل سابقه بانحسى الذي أصبح هو ذاته متمرداً ضده في النوبة. وقد أضاف حريحور لسلطاته الممتدة حتى النوبة منصب وزير الجنوب.

ولقد كان هذا هو الوضع منذ العام السادس لما عرف اصطلاحاً بعصر النهضة والذي بدأ في العام الحادي عشر من عهد رعمسيس الحادي عشر الذي استمر حكمه قرابة التسع والعشرين عاماً، فقد كان نفوذ حريحور يمتد شمالاً حتى الحيبة، أما في طيبة فقد دعم سطوته بالنبوءات الإلهية التي أقرت له عراقتها بعشرين عاما من السلطة والسطوة.

أما في النصف الشمالي من مصر، وتحديداً من إهناسيا (هيراكليوبوليس) وحتى سواحل الدلتا، فقد تم تعيين سمندس والذي كان في مقتبل العمر كما كان ذو سلطة مطلقة هناك تحت الإشراف الملكي. وهي سلطة موازية تماما لتلك التي حظى بها حريحور جنوباً والتي أشار إليها بوضوح ون-آمون في رحلته الشهيرة إلى سوريا والتي ذكر فيها سمندس وزوجته حيث وصفهما بأنهما الأساس الذي منحه آمون في أرضه شمالاً، كما كان يرسل تقاريره إلى سمندس إبان رحلته إلى سوريا مشيراً إلى أنها أنقذت باسمهما، وظل طوال رحلته يلتمس العون منهما حتى عند وصوله لجبيل. والواقع أنه من الصعب قبول أن سمندس كان أقل مكانه من نظيره في الجنوب فقد كان على أقل تقدير الوزير الشمالي والقائد العام للجيش شمالاً.

وجدير بالذكر أن معرفتنا لأصل كل من حريحور وسمندس معدومة تماماً، إذ لا تتعدى معرفتنا عن حريحور في هذا الصدد سوى أن كل خلفاءه المباشرين قد حملوا ذلك اللقب العسكري الذي جمع معه لقبه الديني وهو الأمر الذي دفعنا لقبول كونه قد عين من قبل الملك محل بانحسي المتمرد والمفتقد لشرعية وظيفته الرسمية. أما سمندس فمثل سابقه في هذا الشأن، بل وسواء كان ابنه أم لا، فلقد أصبح في غضون سنوات قلائل الحاكم الفعلي لبرعمسيس ولمجاوراتها بما فيها للبناء جعنت أو تانيس لحوالي ١٠٢ ميلاً إلى الشمال منها، والتي أصبحت عاصمة الدولة الرسمية وقلعتها الحالية، ولعل هذا يفسر نسبته تسمية مانيتون للأسرة الحادية والعشرين باسم أسرة تانيس.

وهكذا يمكن القول أنه منذ العام التاسع عشر من عهد رعمسيس الحادي عشر انقسمت مصر بما فيها النوبة إلى مقاطعتين كبيرتين تحت إمرة حاكمين كان ما يربط بينهما فقط هو وجودهما تحت إمرة الفرعون. ومن ثم أصبحت الحيبة القاعدة الشمالية لحكم إمارة طيبة والحد الفاصل بينها وبين إمارة الشمال إذا جاز التعبير، الأمر الذي يعني وجود نمط جديد للحكم استمر لثلاثة قرون بدءً من الأسرة الحادية والعشرين وحتى عهد وسركون.

وعلى أية حال، فلقد حرص حريحور على الإشارة لنفسه كملك أحياناً بالإضافة إلى وضعه الوظيفي ككاهن أعلى لآمون وهو الأمر الذي يظهر بجلاء على أثره الوحيد بالكرنك في معبد خوفو ومنذ عهد رعمسيس الحادي عشر، كذلك فعلى الرغم من توحيد كونه ملكاً على بعض آثار أفراد أسرته مثل زوجته (الملكة) نجحت، إلا أنه ظل في الوثائق الرسمية الإدارية حاملاً لألقاب الوزير والقائد العسكري والكاهن الأعلى، وإن كان حرصه على توكيد تلك النزعة الكلية للسلطة قد صاحبت حرصه على التوكيد أيضا أنها كانت خلال عصر النهضة من سنوات حكم قليلة فحسب بحكم كونه مشاركاً له فيها.

وتجدر الإشارة إلى أهم إنجازاته في تلك الفترة والتي تمثلت في إرسال ون آمون في العام الخامس من عصر النهضة حوالي ١٠٧٦ ق.م في رحلة إلى جبيل لإحضار أخشاب قارب آمون المقدس. وهي الرحلة التي دعمها سمندس من ميناء تانيس، والتي عكست تداعياتها في تأخر الخشب لعام كامل ووضع مصر الفعلي خارجياً ورغم حرصه على الإشارة لتلك المركب في نقوش عيد أوبت بمعبد خنسو. كما أدت اهتمامه بمقبرة

سيتي الأول ورعمسيس الثاني. ولقد وافته المنية في نهاية العام السابع من عصر النهضة عن عمر يناهز السبعين ليخلفه ولده بعنخي في كل وظائفه عدا تلك الخاصة بالوزارة وملكية الظل.

والواقع فإن بعنخي كان يتمتع خلال آخر عامين من حكم والده بسلطات مدنية وعسكرية ودينية، سواء كقائد للخيالة أو ككاهن لموت وخنسو بالإضافة لإشرافه –وهو الأهم– على ثروة آمون برمتها، في الوقت الذي أشرف فيها أخوه بارع آمون أن آمون على كهانه أونوريس بالإضافة إلى كونه كاهنا رابعاً لآمون، أما الأخ الثالث المدعو "عنخ اف ان موت" فقد باشر مهمة الإشراف علي ثروة آمون خلفاً لأخيه. أما بقية أبناؤه فقد كان حظهم تاريخياً بأقل من أخوتهم. ولكن المهم أن حريحور قد نجح في التمكن من وظيفتين أساسيتين في الإدارة الفرعونية لصالح أسرته وإن لم ينجح في احتكار كل وظائفها. وهو الأمر الذي يفسر لنا تولى بعض الأفراد من غير ذوى أسرته بعض المناصب الأخرى في كهانة آمون إبان إشراف بعنخي كلية عليها ككاهن أعلى وإن نجح هذا الأخير في تولية ثلاثة من أبنائه وظائف كهنوتية غاية في الأهمية.

أما عن نشاط بعنخي بعد وفاة والده فينحصر في توجيه اهتماماته قبل الجنوب وتحديداً ضد قائد التمرد جنوبا بانحسى الذي كان لا يزال يتهدد النفوذ المصري جنوباً وقد أرخ هذا التوجه في العام العاشر لعصر النهضة، "العام التاسع والعشرون من عهد أخر الرعامسة، إلا أنه قضى نحبه في العام التالي له تاركاً وظائفه لابنه الأكبر وخلفه بانجم الأول.

أما في الشمال وخلال ذلك العقد الأخير من عصر الرعامسة، فليس لدينا معلومات كافية عن سمندس وتانوت آمون سوى ما ذكره ون آمون في

تقرير رحلته. إلا أنه بوفاة رعمسيس الحادي عشر، يعتلى سمندس وليس أي فرد من طيبة- عرش مصر، الأمر الذي يدعم الافتراض الخاص بزواجه من صغرى بنات رعمسيس الحادي عشر وتدعى حنت تاوى. بحيث أصبح بتلك الزيجة وسطوته على الشمال فضلاً عن قربه من مقر الحكم سواء منف أو بررعمسيس، ضامناً لكل المؤهلات التي ترشحه ليصبح وريثاً للعرش دون منازع للملك الذي لم يعقب ذكراً.

ملامح سياسة ملوك الأسرة الحادية والعشرين

قبل الخوض في التعرض على ملامح السياسة الداخلية والخارجية لملوك هذه الأسرة تجدر الإشارة إلى أمرين أساسيين، أولهما تفاوت تواريخ ملوك هذه الأسرة سواء في مجموعها الذي يتراوح بين ١٢٨ إلى ١٥٠ سنة وهو الأمر الذي نتج لتضارب القوائم حول فترة حكم ثالث ورابع ملوكها. وثانيهما أنه لا يمكن بحال من الأحوال دراسة هذه الأسرة بمعزل عن دراسة دور أسرة خلفاء حريحور في الجنوب بحكم كونهم كبار كهنة الإله الرسمي للدولة، آمون حيث صاغت العلاقة بين الأسرتين الملامح السياسية لهذه الفترة من تاريخ مصر.

أما عن النصف الأول من تاريخ هذه الأسرة فيمتد خلال عهد اثنين من ملوكها الأوائل وهما سمندس الأول وآمون- ام- نيسو مقابل بانجم الأول كبير كهنة آمون المعاصر لهما.

وبالنسبة لسمندس الأول الذي امتد عهده لحوالي ست وعشرون عاما فقد اتخذ ذات الألقاب التي درج أسلافه من الرعامسة على اتخاذها والتي تشير إلى التوجه الإمبراطوري في سياسة الدولة، أما آثاره فأهمها

بالطبع تلك اللوحة التي عثر عليها قرب جبلين والتي تذكر جـــهود الملــك حيال خطر الفيضان الذي داهم معبد الكرنك والذي أمر إبان إقامته في منف بضرورة قيام رجال المحاجر والمعماريين بالقيام بالإصلاحـــات اللازمـــة وإبلاغه بنجاح المهمة.

والواقع، فإن هذا النص إنما يعطينا عدة إشارات هامة عند قراءتــه تاريخياً، منها أن عاصمتي الشمال أصبحتا منف وتانيس بعدما كانتا منــف وبر-رعمسيس ومنها أن العلاقة بين سمندس كملك لكل مصر وبين كهانــه الجنوب كانت على خير وجه وألا لما نجح في تحقيق هدفه المنشود حيــال إنقاذ معبد الكرنك بما يعنى أيضا وأيا كانت العلاقة أن تحديد الأدوار بيــن كلا الطرفين قد تم منذ وفاة رعمسيس الحادي عشــر، فحريحــور وخلفــه بعنخي قد أقرا بحق، سمندس وأسرته في وراثة عرش مصر شــرعياً فــي حين أقر لهما سمندس بحقهم في القيادة العسكرية لمصر العليا فضلا عــن كهانه آمون بطيبة، وهو اتفاق لا يحتاج إلى أية وثائق تاريخية لتوكيده كمــا أنه يمكن قبوله في فهم طبيعة العلاقة بين الطرفين بغض النظر عن وجــود علاقة أسرية من عدمه.

ولقد تأكد على هذا الأمر من التوافق شــيئان، الأول أن أوقــاف عبادة آمون في الدلتا كانت ستخدم بالضرورة معابده في تانيس وهو أمر سيعود بالنفع على العائلة الملكة التى تخدمه في حين أن مكاسب عبادتــه في الجزر الجنوبية كانت لصالح الأسرة الطيبية كلية، أما الثــاني فــهو تدعيم ذلك التحالف بالزواج السياسي بين كل الطرفين، وهو توجه ربمــا بدأ منذ عصر النهضة بزواج بانجم الأول من ابنة سمندس وتانوت آمون

وتدعى حنت تاوي، في حين تزوجت ابنة بانجم من سمندس أو ربما من آمون- ام- ينسو، الذي يرجح كونه ابنا له.

و الواقع، فان الفشل الكامل في إنجاب أي من الزيجتين لوريث شرعي قد سمح للطرفين بالملكية والكهانة، في أن تعقد لواءها لأقرب وريث شرعي في أي من الأسرتين، بحيث أصبح الوضع برمته في نهاية الأمر عبارة عن حكم الأسرة في شمال مصر، لكل مصر ولكن بموافقة الأسرة الحاكمة لشطرها الثاني. وهو وضع ربما جعل الدولة تعيش في نوع من الوحدة والاستقرار النسبيّ ولكنه لم يغرى حكامها بحال من الأحوال إلى إنفاذ أية حملات طموحة خارجياً أو السعي لتحقيق مشروعات كبرى داخلياً.

أما على الجانب الآخر، ونعني به كهانة آمون فقد كان على رأسها بانجم الأول الذي عاصر سمندس للخمسة عشر عاماً الأولى من حكمه ككاهن أعلى- وربما كان ابن أخيه بعنخى في حالة قبولنا كون سمندس ابنا لحريحور- ولقد وجه اهتمامه لمقابر أسلافه صناع الإمبراطورية الغابرة حتى قام بتجديدها منذ عامه السادس وحتى الخامس عشر. كما مارس من خلال هذا العمل سلطاته الدينية في العناية بالجثث الملكية. إما بحكم كونه كاهناً أعلى وقائدا عسكريا فقد حملت اسمه نقوش بجزيرة سهيل عند الجندل الأول جنوباً ومثيلتها عند قلعة الحيبة شمالاً، فضلاً عن برجها لأقصى الشمال حيث تبدأ الجدران التى لا تزال ماثلة للعيان والتي شيدها باسمه واسم زوجته وسيدته (ايست أم حب). كذلك فإن أثاره في معابد طيبة إنما تتنوع من مجرد بقايا نقش وحتى التماثيل الملكية وبها العديد من أسماء

أسرته بمعبد الأقصر. أما في مدينة هابو فقد قام بعدة إضافات وتجديدات لمعبد رعمسيس الثالث هناك. أما في الكرنك فقد انتحل طريق تماثيل أبو الهول الذي أسسه رعمسيس الثاني بدءً من الصرح الثاني وحتى معبد آمون رع بالأقصر.

وتجدر الإشارة أن طموحاته تعددت هوى أبعد منذ العام الخامس عشر لحكم سمندس حيث بدأ يتخذ لنفسه سمات ملكية مثلها بتمثاله الضخم عند الصرح الثاني لمعبد الكرنك بتمثال ضخم له يحمل الألقاب الملكية التقليدية والتي كرر استخدامها لنفسه في معبد خنسو أيضاً.

ولقد انعكس هذا التوجه الملكي حتى في أعماله الخاصة بتجديد المقابر الملكية التى قام بها بدء من العام السادس عشر لحكم سمندس حيث أصبح اسمه يكتب في خرطوش ملكي ليجمع بذلك كافة المظاهر الملكية من ألقاب ومكانة وأسلوب في العقد الخير من عهد سمندس.

والواقع أن ملكيته في العام الخامس عشر أو التالي له كانت محل تساؤل كثير من الباحثين مؤداه عن السبب الحقيقي وراءه في تلك الفترة تحديداً وليس قبلها بكثير، وهو أمر يكتنفه الغموض، وان كان هناك ما يفسره فهو زواجه من ابنه سمندس وتانوت آمون، الأميرة حنت تاوى، حيث مكنته مكانته كزوج الأخيرة لفترة طويلة أن يرتقي بها ليصبح هو ذاته ملكا. والواقع فقد عين بانجم ولدين له، الواحد تلو الآخر، كخلف له، ولكن من أسف اختفى كلاهما عن الأنظار قبل وفاة والدهما الملك، ومن ثم فقد عين في العام الخامس والعشرين من عهد سمندس، أصغر أبناؤه المدعو من خبر-رع ككاهن أعلى وقائد عسكري على الجنوب. ولقد قابل من خبر رع معارضه من بعض الأفراد في طيبة انتهت بانتصاره عليهم ونفيهم إلى

الواحات الغربية. بيد أن الظاهر من الأمور يدلل على أن المعارضة كانت نتيجة طبيعية لاحتكار أبناء بانجم وكذا ابنته الصغرى كافة المناصب الكهنوتية للإله آمون أو بالأحرى الثالوث الطيبى هذا بالإضافة إلى الملكة حنت تاوى نفسها والتي امتد إشرافها الكهنوتي خارج طيبة.

وقد عاصر هذا الأخير توت آمون أم نيسو خلفا لسمندس، وكان من-خبر-رع قد اتخذ تدابير بالعفو عن المعارضين كان من شأنها تهدئة الأمور في البلاد، واستمرت مجهوداته في عهد بسوسنيس الأول بحيث يمكن القول أن ثمة وحدة سياسية مرتبة بين شطري الوادي وأسرتيه الحاكمتين، لا سيما بعد تزويج ابنته من كاهن آمون الأعلى في طيبة مقابل قيامه هو بكهانه آمون في تانيس.

وعلى أية حال فقد تزامن انتقال السلطة في الشمال والجنوب حيث خلف سمندس الثاني أباه من خبر رع في طيبة، في حين خلف آمون أم أوبت في تانيس بسوسنيس الأول، وظل يحكم لحوالي عشر سنوات خلفه من بعده ملك يدعى أوسوخور (وسركون) ثم سى آمون أبرز شخصيات هذه الأسرة الحاكمة في تانيس بما قدمه من منشآت في تانيس ومنف وعين شمس وغيرها. ولعل تركز نشاطه شمالا يدل على سيادته الاسمية على الجنوب. ولعل ضعف سطوته هي التى جعلت كبرى سرقات جبانة طيبة تحدث في عهده، وتجعل كبير كهنة آمون مضطر إلى إعادة لفن رفات بعض المومياوات.

أما سياسته الخارجية فقد تزامنت مع الصراع الدائر بين القبائل العبرانية بزاعمة داوود والفلسطينيين رغبة منهم في تحقيق الوعد الإلهي في الأراضي الموعودة. والواقع أن دور مصر اقتصر على استضافة حاكم

أدوم المدعو حداد الذي طرده داوود في زحفه الجنوبى، وقد تزوج حداد من أميرة مصرية وأنجب منها ولدا. وعند وفاة داوود عاد حداد لمملكته. في حين قامت مصر ولأسباب اقتصادية بحتة بمهاجمة الفلسطينيين الذين هددوا طرق تجارتها مع فينيقيا، وقد تحالف سى آمون رع في زحفه هذا مع الإسرائيليين وهو تحالف تم دعمه بزواج سليمان خليفة داوود من أميرة مصرية، ليتأكد تلك التوجه الجديد بزواج الأميرات المصريات زيجات سياسية من حكام أجانب بعدما كان العكس منذ قرون خلت.

وعلى أية حال، فقد توفى سى آمون دون وريث شرعي و خلفه أحد الذين ارتبطوا في الغالب بأسرته برباط المصاهرة وهو بسوسنيس الثاني الذي عاش لحوالي أربعة عشر عاما اختتم بها عصر هذه الأسرة ذات الحكم المزدوج. وكان أبرز سمات عصره هو تمكن أحد رجالات الحكم من ذوى الأصول الليبية ويدعى "شاشانق" من أمور الدولة ومكن لنفسه بالدرجة التي جعلته يتمكن من تولى عرش البلاد فور وفاة مليكه ليبدأ عصر أسرة جديدة هي الأسرة الثانية والعشرون[١].

---

(١) حسن السعدي:المعالم الرئيسية لتاريخ مصر القديمة، الإسكندرية ١٩٩٥، ص٣٥٧-٣٦٧.

الأسرة الثانية والعشرون

رتب العالم الإنجليزي كينيث كيتشن ملوك هذه الأسـرة علـى النحـو التالي[1]:

١- شيشنق الأول (٩٤٥ س- ٩٢٤ ق. م).
٢- أوسر كون الأول (٩٢٤-٨٨٩ ق. م).
٣- تكلوت الأول ثكرتي" (؟- ٨٧ ق. م).
٤- أوسر كون الثاني (٨٧٤- ٥٨٠ ق. م).
٥- تكلوت الثاني (٨٥٠- ٨٢٥ ق. م).
٦- شيشنق الثالث (٨٢٥- ٧٧٣ ق. م).
٧- بماى (٧٧٢- ٧٦٧ ق. م).
٨- شيشنق الخامس (٧٦٧- ٧٣٥ ق. م).
٩- أوسركون الرابع (٧٣٠- ٧١٥ ق. م).

وللحديث عن أصول هذه الأسرة فيمكن القول بأن "شيشـنق" جـد الملك الأول في الأسرة "شيشنق الأول" كان زعيما قويا لقبيلـة المشـوش الليبية الذين كانوا ذوى نفوذ ومكانة، بعد انتصار رعمسيس الثالث عليـهم والسماح لعدد كبير منهم بالهجرة إلى مصر مسالمين، والعمل فـي خدمـة الجيش المصري كجنود مرتزقة، ومن بين هؤلاء الوافدين أسرة قوية كـان يتزعمها "يويواوا" وقد استقرت هذه الأسرة في إهناسـيا "هرقليوبوليـس"، واتخذوها موطنا ومعقلا لهم، وقد توارث حكم مقاطعة هذه المدينة هـؤلاء الأمراء الليبيون، وكان لهم شأن كبير في عهد الأسرة السابقة، كما تدل على ذلك الوثائق التي وصلت إلينا عن تلك الفترة وعن هذه الجماعـات التـي استقرت أكبر جماعاتهم في الفيوم أيضا، باعتبار إهناسـيا والفيـوم مـن المداخل الطبيعية من الواحات إلى وادي النيل، وباعتبارهما مـن منـاطق النشاط التجاري والزراعي، فضلا عن قربهما من الصحراء الغربية التـي

---

(١) Kitchen, J., The Third Intermediate period in Egypt, Warminster, England, p. 156 f.

كانت تلك الجماعات تهفو إليها من وقت لآخر، وقد أوردت المصادر حادثة تشير إلى قوة هذه الأسرة الليبية المتمصرة في إهناسيا، وقعت في نهاية الأسرة الحادية والعشرين حينما حدث اعتداء على قبر أمير يسمى شيشنق على قبر ولده نمرود في أبيدوس خلال تولي بانجم رئاسة منصب كبير كهنة آمون في طيبة، فلم يكتف شيشنق بالشكاية له وإنما توجه بالشكاية إلى الملك في تانيس الذي صحبه إلى معبد آمون، وأمر بأن يوضع تمثال لولده في معبد أوزير بأبيدوس حتى يسترضيه هو وجماعته الذين يمكن وصفهم بالمهجنين أفضل من تسميتهم بالليبيين[1]، كما أصبح عدد من رجال العائلة كهنة للمعبود "حرى شف" مما أعطاهم الحق بالدفن في أبيدوس[2].

الملك شيشنق الأول مؤسس الأسرة

الواقع أنه لم تصل إلينا حتى الآن تفاصيل عن كيفية اعتلاء شيشنق الأول مؤسس هذه الأسرة عرش البلاد، لكن من المؤكد أن هذه الأسرة قد مكنت لنفسها النفوذ والسلطان منذ أواخر عصر الدولة الحديثة وتولى بعض أفرادها مناصب هامة مختلفة، ومنهم من تولى وظيفة كاهن معبد إهناسيا وقائد حرس المدينة في نفس الوقت، ثم أصبحت هذه الوظائف وراثية في الأسرة.

وتطور أمر هذه الأسرة وأصبحت من القوة والنفوذ بحيث كانت تتصل بالملك رأسيا وبينما كانت الأسرة الحادية والعشرين تتداعى وفي طريقها إلى الانهيار أخذت هذه الأسرة المهجنة تقوى وتشتد حتى تمكن

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٢) رمضان عبده السيد: تاريخ مصر القديمة، ج٢، ص ٢٣٢.

أحدهم ويدعى شيشنق من الاستيلاء على العرش، وجعل مقر ملكـــه فـــي بوبسطة (تل بسطة الحالية قرب الزقازيق)، ومن المرجح أنـــه لـــم يجـــد الفرصة مواتية لاتخاذ هذه الخطوة إلا بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الحاديـــة والعشرين وانقراض ذريته.

كما يحتمل أنه كان قد زوج ولده من ابنة هذا الملك فأكتسب بذلـــك شيئا من الحق في اعتلاء العرش بعد وفاة صهره، وبذلك استتب له الأمـــر وحكم البلاد في هدوء، وكان هدفه أن يســـتعيد لمصـــر قوتـــها ووحدتـــها ويسترجع لها عظمتها ومجدها في الخارج، وقد بدأ الاهتمام بأحوال مصـــر الداخلية متبعا الحكمة في ذلك، حيث يبدو أن كهنة آمون في طيبـــة كـــانوا أكثر قبولا لحكمه من أهل الدلتا، وأن لم يستطيعوا إنكار حقه في العـرش إذ أنهم لم يعلنوا عن رضاهم ولم يعترفوا له بالملكية مباشـــرة، ودارت بينـــه وبينهم مفاوضات حول اعترافهم به، ويخيل إلينا أن هذه المفاوضات تعثرت في أول الأمر لأنهم على الأرجح رغبوا في الحصول علـــى المزيـــد مـــن السلطة وتجريده من بعض الحقوق التى كان يحتفظ بها، ومما يؤكـــد هـــذا الرأي لوحة في الكرنك عليها نص مؤرخ بالسنة الثانية من عـــهد رئيـــس الماشوش الأكبر "شيشنق" بينما نجد على نفس اللوحة نصا أخـــر مـــؤرخ بالسنة الثالثة عشرة من عهد الملك "شيشنق" أي أنه في النص الأول كـــان يعتبر رئيسا لليبيين فحسب بينما اعترف به في النص الثاني كملك[1].

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة، ج ٩، ص ١٠٨.

وكذا: kitchen,k.A.,op.cit.,p.289.

ومن المؤرخين من يرى أن طائفة من كهنة آمون لم تقبل الاعتراف بحكمه وفرت إلى بلاد النوبة حيث احتمت في منطقة نباتا وجعلت منها عاصمة للمملكة التي أقاموها هناك، ولذا يرجح هؤلاء المؤرخون أن أصل الأسرة النبتاوية يرجع إلى هؤلاء الكهنة، ويستندون في ذلك إلى شدة ورع ملوك نباتا وإخلاصهم في عبادة الإله آمون، وإلى أن بعض هؤلاء الملوك كانوا يحملون أسماء مصرية، كما يستنتجون عدم قبول حكم شيشنق أيضا من قيام ثورة بالواحات الخارجة في السنة التاسعة عشرة من عهده، ولكن لا يمكن الأخذ بهذه الآراء، غير أن تشابه أسماء بعض الملوك في نباتا مع الأسماء المصرية قد يرجع إلى أن بلاد النوبة كانت قد تأثرت بالحضارة المصرية منذ وقت طويل، كذلك يغلب على الظن أن ثورة الواحات الخارجة تعود إلى كثرة وجود العناصر الثائرة بها، لأنها كانت تعتبر منفى للمجرمين وهؤلاء كثيرا كانوا يودوا في التخلص من منفاهم[1].

وكما فعل ملوك الأسرة السابقة من تشجيع المصاهرة مع كهنة آمون في طيبة، فقد لجأ ملوك الأسرة الثانية والعشرون من تزويج بناتهم لكبار كهنة آمون لأنهم بتلك الوسيلة يضمنوا حقوق شرعية في اعتلاء العرش، كما لجأ لتزويج أولاده من بنات الأسر الكهنوتية ليضمن حقا شرعيا في منصب الكهنة، ويشرف إشرافا فعليا على هذه الوظيفة الدينية الهامة، وكذلك يكون لأسرته نصيب كبير من ثروات معابد آمون، كما أغدق شيشنق الكثير من المنح والعطايا للآلهة ومعابدهم المختلفة (آمون،

---

(١) محمد سعد الله: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر- سورية القديمة، إسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٣٨.

باست، حرى شف وغيرهم)[١]، مما كان له أثر سلبي على اقتصاد البلاد وخاصة في نهاية الأسرة الثانية والعشرين.

ورغم ما يبدو لأول وهلة من عدم تحسن الأمور في مصر، فان سياسة "شيشنق الأول" الخارجية تدل على أنه كان موفقا إلى حد كبير، فحينما تولى العرش كان "سليمان عليه السلام" مازال يحكم في فلسطين، وكان النبي أشعيا قد تنبأ ليربعام وهو أحد أمراء إسرائيل المناوئين لسليمان بأنه سيحكم إسرائيل، وعندما حاول سليمان القضاء على يربعام هرب إلى مصر ولجا إلى شيشنق- وبالرغم من حرص مصر على علاقات الود مع المملكة العبرانية، إلا أنهم لم يضيعوا أي فرصة تسنح لهم، ويتمكنون فيها من إضعافهم والتدخل في شئون فلسطين أملا في إعادة النفوذ إليها، وعلى هذا نجد شيشنق يعمل بما نصح له به يربعام، الذي يرجح أنه تزوج بابنه شيشنق، والإعداد لمهاجمة فلسطين، هذا في الوقت الذي ضاق العبرانيون ذراعا بحكم سليمان الذى طعن فى السن وأثقل كاهلهم بالضرائب، فلما مات انقسموا على أنفسهم، وانتهز شيشنق فرصة انقسامهم إلى مملكتين متنافستين بعد فترة وجيزة من الوحدة بين الأسباط الإسرائيلية، وساعد على ذلك الانقسام سوء تصرف "رحبعام" نجل سليمان، في التفاهم مع القبائل العبرانية وتخفيف عبء الضرائب والأعباء الباهظة عليهم، وساعد التحريض المصري فى نهاية الأمر، على انقسام الدولة العبرانية إلى قسمين هما يهوذا وإسرائيل، فتم اختيار يربعام ملكا على مملكة إسرائيل فى الشمال، بينما أصبح رحبعام ملكاً على يهوذا.

---

(١) Kitchen,K.A., op.cit.,p.303.

بعد أن أحكم شيشنق "قبضته على بلاد النوبة، ووطد علاقته مع بيبلوس وعدد من المدن على الساحل السوري[1]، اتجه بجهوده الحربية نحو فلسطين.

والواقع أن المعلومات التى وصلت إلينا عن مملكة إسرائيل وعلاقتها بمصر مستقاة من الكتاب المقدس، وبعد وفاة سليمان عليه السلام (احتمال تولية العرش فى القرن العاشر قبل الميلاد خلال الفترة من ٩٧١ ق. م. حتى ٩٣١ ق. م) [2]. وفى خلال السنة الخامسة من عهد رحبعام، قام شيشنق ملك مصر بالوصول إلى أورشليم، واستولى على خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وجمع كل شئ، وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان من قبل[3].

وقد اختلفت أراء العلماء بشأن هذه الحملة فهناك من يرى أنها قد قامت بسبب استنجاد يربعام بمصر، وهناك من يرى أسباب اقتصادية كسبب هام لقيامها، وهى أشياء هامة غير أن السبب الهام لقيام مثل تلك الحملة قد يعود إلى الرغبة الصادقة من "شيشنق" لاستعادة نفوذ مصر ومجدها في فلسطين، هذا بجانب أهمية العامل الاقتصادي وهو ما أشارت إليه الثورة، أن شيشنق قد استولى على كنوز أورشليم واستغلها في بلاده، وهو نفس ما تثبته ظواهر الأحوال في تلك الفترة حيث عاشت بعدها مصر مدة تقرب من قرنين من الزمان تنفق من الغنائم التى حملها شيشنق من

---

(١) Kitchen.,K.A.,op.citp.292-293.

(٢) Ibid.,p.293.

(٣) الملوك الأول ١٤: ٢٥-٢٧.

فلسطين، بدليل التشييدات و العمائر التى اخذ في إقامتها ملوك هذه الأسـرة في الكرنك وجمرها.

وبرغم علم وجود تفاصيل عن خط سير الحملة، فقد جـاء ذكرهـا على الجدار الجنوبي الغربي للصرح الثاني بمعبد الكرنك. وفد ورد فيـها ١٥٦ مدينة في فلسطين تقع ما بين الحدود الجنوبية لأرض يهوذا وشـمال الجليل، ومن بينها مناطق معروفة، وأخرى غامضة، فـالواضح أن حملـة شيشنق هذه قد وصلت إلى شرق الأردن حيث هرب "رحبعام"، كما وصلت في الشمال إلى سهل يزرعيل والجليل، وأما في الجنوب فقد وصلـت إلـى عصيون جابر، وإلى جبرون وبئر سبع وغيرهم من مدن جنوب يهوذا وإلى عكا وغزة في الغرب(١).

وخط سير الحملة واتجاهها إلى مملكة إسرائيل حيث كـان عليـها يربعام ينفى الأسباب التي قيلت أن قيامها كان لمساعدة يربعـام ونجدتـه، وربما كان الشقاق بين المملكتين حافزا له على القيام بحملته.

ولا نزاع في أن حملة شيشنق هذه كانت لها نتائج عظيمة من بينـها تزويد المعابد المصرية بالغنائم العديدة، وعندما بلغ "شيشنق" سن السـبعين من عمره توفى في العام التالي، وغير معروف المكان الذي دفن فيه، وأيـن حفرت مقبرته، لكن أثاره ومن بينها البوابة الرئيسية في الكرنك التي تقـع بين الصرح الثاني ومعبد رعمسيس الثلث، ويطلق عليها اليوم اسم "البوابـة البوباستية" تتحدث عن حملته الحربية السابقة(٢).

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر، ج٣، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٦١٣-٦١٤.

(٢) رمضان السيد: المرجع السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

خلفاء شيشنق الأول:

وقد خلفه على العرش وسركون الأول "الذي اتخذ من بوبسطة عاصمة له مثل والده، وتقرب بالعطايا للآلهة الرئيسية كآمون وبتاح وإيزيس ومين وأوزير في مدنهم التقليدية بأقاليم مصر، والمعروف أن وسركون الأول "كان والده قد زوجه من ابنة بسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة السابقة، وقد اهتم وسركون بمعابد مصر المختلفة حيث ذكر في نقوشه مقدار ما وزعه من الأشياء الصغيرة المصنوعة من الذهب ٢٠٥٣٨ دبنا أو ما يساوى ٥٠٠٥ رطلاً من الذهب، ومن الفضة حوالي ١٧٧٦٢ رطلا، على أن إهداء مثل هذه المقادير من الذهب والفضة للمعابد بالإضافة إلى دخلها لدليل هام على الثروة العظيمة والغنى الوفير لملوك تلك الفترة[1].

والظاهر أن طول مدة حكم وسركون الأول التي بلغت ٣٦ عاماً، وتتابع أفراد أسرته في رئاسة الكهنوت في طيبة مما زاد الحالة تعقيدا في البلاد، إذ من المحتمل أن ما تمتع به هؤلاء من نفوذ وسلطان كان يدفعهم دائماً إلى إثارة المتاعب أو محاولة الاستحواذ على مزيد من السلطة، وربما دأب وسركون على تغييرهم من أجل ذلك لأننا لا نعرف كيف انتهت خدمات بعض أبنائه في رئاسة الكهنوت.

ومن أهم الآثار التي تركها "وسركون الأول " في بلدة الحيبة التي تقع على النيل مقابل بلدة الفشن حيث أتم المعبد الذي كان والده قد شيده للإله آمون وثالوثه هناك، ولم يبق من نقوش هذا المعبد إلا القليل، جزء منها باسم الفرعون "شيشنق الأول"، والآخر باسم "وسركون الأول".

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة، ج٩، ص ١٧٧.

كما عثر في شبين الكوم بالقرب من تـل اليهوديـة علـى تمثـال للفرعون "وسر كون الأول" مصنوع من البرونز؛ بالإضافة إلى عدة تماثيل وجعارين موجودة بمتاحف أوربا (فيينا- ليدن- اللوفر)(١)، كما ترك مقاييس النيل التي كانت تسجل على رصيف معبد الكرنك، وقبل وفاته أشرك معـه ابنه الأكبر "تاكيلوت" في الحكم لمدة ١٧عاما(٢)، وحكم منفرداً لفترة قصيرة لا تزيد عن سبع أو ثمان سنوات على أكثر تقدير، وقد نسب له "الأثـرى الفرنسي جوتيه" تمثال صغير عثر عليه في العرابة المدفونة نقـش عليـه خرطوشه وألقابه، كذلك نسب إليه لوحة وجدت في العرابة المدفونة، وهناك لوحة عليها اسم "تاكيلوت" محبوب آمون، غير أننا لا نعرف، لأي تـاكيلوت تنسب هذه اللوحة ونفس الأمر ينطبق على تمثال لأبو الهول عثر عليه في خبيئة الكرنك، كما عثر له على عدد من الجعارين في مناطق متفرقة(٣).

ومهما يكن من أمر فقد بدأ الصراع واضحاً بين الشمال والجنـوب في نهاية عصر "وسركون الأول" وبداية عصر "تكلوت الأول" ثـم اشـتد النزاع بين هذا الأخير وشقيقه الكاهن شيشنق لأن هذا الأخير حينما شـعر بقوة نفوذه في طيبة انتحل الألقاب الملكية وحينما يتولى أوسركون الثـاني بعد والده تكلوت الأول وجد أن نفوذ عمه يهدد سلطانه وخاصة في أجـزاء مصر الجنوبية، ولذا عمد إلى الاحتفاظ بهيبة الملكية في تلك الجهات وقـام بإصلاح بعض التلف الذي أصاب معابد طيبة باسمه وخاصـة فـي معبـد

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) رمضان السيد: المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢١٨.

وكذا: Gauthier, H.L.R., III, p.334.

الأقصر الذي أثر فيه الفيضان، ومع هذا يبدو أن الخطر ظل يهدد نفوذ الملك من نواحي متعددة كما يتبين ذلك من تمثال للملك" أسركون الثاني" عثر عليه في تانيس إذ نقشت عليه دعوات يطلب فيها الملك من المعبود أن يخلد أبناءه في الحكم وإن يمنحهم السلطة على رؤساء الكهنة- وعلى رؤساء (ماشواش) العظام وعلي كهنة هرقليوبوليس ومما جاء في هذه الدعوات أيضاً أجعل أولادي في الوظائف التي عينتهم بها ولا تجعل قلب أحدهم يكبر أو يعظم على قلب أخيه".

فمن هذه الدعوات يمكن أن نتبين سوء الحالة في البلاد في عهد هذه الأسرة بصفة عامه إذ كانت هناك بضعة قوى متنافرة كل منها تعارض سلطان الملك وهذه القوى تتمثل في الكهنة ورؤساء الماشواش (المرتزقة الليبيين) الذين أصبحت لهم سطوة كبيرة باعتبارهم ينتمون بصلة للبيت المالك، وربما أصبح معظم أمراء الأقاليم من هؤلاء الليبيين ولا شك في أن كل طائفة من هذه الطوائف كانت تعمل لمصلحتها الخاصة مما أضعف سلطان الملوك وتراخت قبضتهم عن الأقاليم فحظي أمراؤها بشيء من الاستقلال والسيادة وإن لم يتعد نفوذهم عواصم أقاليمهم إلا بقليل.

والخلاصة التي يمكن أن نستنتجها هي أن البلاد كانت سائرة في طريقها إلى الآن حلال وأن تنازع السلطات بلغ من الخطورة حدا جعل الملوك لا يأمنون على عروضهم فهناك ما يشير إلى "أسركون الثاني" قبل أن يعتلي العرش كان مشتركا في الحكم مع والده الذي اتخذ هذه الخطوة لكي يضمن لولده ولأية العهد وقد اتبع" أسركون الثاني" نفس هذه السياسة مع ولده شيشنق الثاني" الذي مات في حياته فأشرك معه ابنه الآخر" تكلولوت الثاني" الذي استمر معه في الحكم سبعة أعوام ثم انفرد بالعرش بعد وفاته.

وأخذت هذه بعد ذلك تنحدر نحو الاضمحلال حتى أن ابن تكلوت الثاني- وكان يدعى أسركون- قد جرؤ في السنة الحادية عشرة من حكم والده على تقديم بعض الهدايا إلى معبد آمون باسمه الخاص مع أنه لم يكن إلا رئيساً للكهنة، وبالرغم من تقديمه لتلك الهدايا فإن رئاسته للكهنة كانت في أغلب الظن غير مقبولة إذ أن أهالي طيبة قاموا بثورة ضده وبعد عشرة أعوام رجع بمعاونة بعض أعوان والده، ويبدو أنه ستلهم وحي الإله آمون حينئذ فأصدر هذا عفوه على الثائرين ولكن ذلك العفو عنه كان مؤقتا في نظر أهل طيبة على الأقل لأنهم عادوا للثورة فاضطر أسركون للهرب ثانية بعد نحو ستة أعوام من عودته، وظل متخفيا هذه المرة نحو ثلاثة عشر عاما وفي كل مرة كان يختفي فيها تولى رئاسة الكهنوت في مكانه أحد أفراد الأسرة ويدعى "حرسا ايسى".

ومن النقوش التي ترجع إلى أواخر عصر هذه الأسرة يتبين لنا أن عهود أخر ثلاثة ملوك فيها كانت تسودها الاضطرابات وقد تلفت آثار كثيرة ولم تنجو عاصمتهم بوبسطة من التخريب كما أنها تعرضت بعد ذلك للنهب والتدمير ولذلك كانت معلوماتنا عن هذه الأسرة بصفة عامة ضئيلة للغاية، ولا نجد فيما لدينا من نصوص بعد عهد مؤسسها شيشنق ما يشير إلى فلسطين مما يدل على أن نفوذ مصر قد انعدم فيها من بعده.

ويحتمل أن ظهور مملكة أشور في ذلك الحين جعل بعض الدويلات الآسيوية في شرق حوض البحر المتوسط تتجمع في شكل اتحاد ضدها، ووجد "تكلوت الثاني" أن في ظهور هذه المملكة الفتية خطرا يهدد مصر فأرسل عدداً من المقاتلين كمدد لذلك الاتحاد الذي هزمه شلمنصر الثالث

ملك أشور حينئذ، وأثار ذلك انتباه هذه الدولة الفتية إلى الدور الذي تقوم به مصر فتحفزت للاصطدام معها.

وفى أواخر "عهد شيشنق الثالث" أي في أثناء تولى"حرسا إيسى" لرئاسة الكهنوت من جديد نشأت أسرة ملكية (بدأها بادى باست) في طيبة دهى الأسرة الثالثة والعشرين، آي أنها كانت تعاصر الأسرة الثانية والعشرين وخاصة في الفترة الأخيرة منها، ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه الأسرة وما هي العلاقة بينها وبين الأسرة السابقة؟ بل ولا نعرف شيء عن الدور الذي قام به "حرسا ايسى" عند تعاصر الأسرتين وكل ما يمكن أن نقوله هو أن الأحوال الخارجية والداخلية بصفة عامة لم تكن واضحة تماماً.

ومما تجدر ملاحظته أن الأسرة الثالثة والعشرين قد مرت في نهايتها بنفس التجربة إذ ظهرت في الشمال أسرة جديدة (وإن لم تعمر هذه الأسرة طويلا) كما شاهدت كذلك دخول النبتاويين إلى مصر حيث أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين.

وقبل الحديث عن الأسرة التالية نرى ضرورة إلقاء الضوء على ما يسمى "كبار حكام الما في منديس"(١).

تولت العناصر المهجنة حكم مصر أو إذا شئنا القول العناصر المتمصرة وهى جماعات عدة سعت إلى الاستيلاء على مصر بالقوة المسلحة، وقنعوا في النهاية بأن يعملوا في كنفها وفوق ترابها، ويمكن عدهم من العناصر الوافدة من الصحراء الغربية من "التحنو" وبعض جماعات من

---

(١) جيهان شيخ العرب: الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر السفلى، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ. د. محمد على سعد الله.

شعوب "المشاوش" وغيرهم، وقد جرت بعض المصادر التاريخية بتسمية تلك العناصر التي استطاعت الوصول إلى حكم مصر في عهود الأسرات الضعيفة بالأسرات الليبية، بينما نرى إطلاق وصف العناصر المهجنة عليهم كما يرى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح تلك العناصر التي تمصرت وحمل رؤساؤهم لقب رئيس الما الكبير، وهذا اللقب جاء نتيجة ضعف السلطة المركزية، وهناك من حمل لقب حاكم الإقليم[١]. ولقد كان هؤلاء الرؤساء يتباهون بوضع شارة خاصة على رءوسهم تحدد منصبهم، ولم تكن هذه الشارة ريشة مزدوجة كما كانوا في الماضي ولكن ريشة واحدة لطائر النعام، هذا الشعار الذي تم رسمه على كل الرسومات المتقنة لرئيس المشوش، منذ فترة شيشنق وحتى الأسرة الخامسة والعشرين وهو دائما متمدد على الرأس[٢].

وهذه الأسرات كانت سليلة بيوت ملكية وحكموا "جدت " في الفترة من (٨٣٠- ٦٦٥ ق. م) ووضع كتشن (Kitchen) تقسيما زمنيا لحكم هذه الأسرات وهو على النحو التالي:

١- "إس خبى: حكم منديس حوالي عشرين عاما من (٨٣٠- ٨١٠ ق.م) وهو والد حور نخت المؤسس الفعلي لأسرة حور نخت بالإقليم السادس عشر[٣].

---

(١) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج١، ص ٢٩٨.

(٢) Yoyotte, J., Le Principautés du Delta au temps L'Anarchie Libyenne", *MIFAO* 66, Le Caire 1964, p. 125, Nr. 9.

(٣) Kitchen, J., op.cit., pp. 345-491.

- حور نخت الأول (٨١٠- ٧٩٠ ق. م) حكم هذا الأمير حوالي عشرين سنة و قد عاش في العام الثلاثين من حكم الملك شاشانق الثالث، (الأسرة الثانية والعشرين) أي حوالي عام ٨٢١ق.م ولكن الفترة التي عاشها حور- نخت بعد هذا التاريخ غير معروفة[١]. كما اهتم بكبش جدت، وتعبد له حيث عثر لهذا الأمير على لوحة بتل الربع التي كان حاكما عليها وموجود الآن بمتحف بروكلين وفد صور عليها مجموعة من الآلهة تحت الشمس المجنحة، ومن بينها " كبش جدت " وقد تعرف يويوت Yoyotte علي هذه اللوحة قبل بيعها إلى متحف بروكلين وأرخها بحكم الملك شاشانق الثالث أو الخامس (٧٦٧-٧٣٠ ق. م)[٢].

أما كتشن Kitchen فقد قام بنشر اللوحة ودرسها بالتفصيل، وقد أرخها بفترة حكم شاشانق الثالث وسبب تأريخها لفترة حكمة دون غيره، الآثار العديدة التي وجدت لهذا الملك في منطقة تل الربع، الأمر الذي لم يحدث مع شاشانق الخامس، ففد وجدت له لوحة ضمن مجموعة "جامعة شتراسبورج" وهى مؤرخة بالعام الثلاثين من حكم شاشانق الثالث[٣].

---

(١) ويقترح كتشن Kitchen أنه حكم في العام الثاني و العشرين من حكم شاشانق الثالث أي حوالي عام ٨٠٤ ق. م علي لوحة متحف بروكلين .أنظر :

Kitchen,K.A., Two Donation Stela in the Brooklyn museum *JARCE*,8(1960-1970)p.59-63 fig a;

وكذا: Goma F., Die Libyschen fustentumer des Deltas vom to Osrkons II bis zur wiedervereinigug Agyptens durch psame atik I, p.177.

(٢) Yoyotte, J., Le Principautés du Delta au temps L'Anarchie Libyenne", p. 125.

(٣) Ibid., p.125.

سمندس الرابع :

خلف الأمير سمندس الرابع أباه حور نخت في حكم الما في جدت وحكمها حوالة ٢٣ عاماً[١]، وقد عاصر الأمير سمندس الملك أوبت الأول، وقد اهتم بكبش جدت واعتبر نفسه كاهنا له حيث عثر له على إفريز باب في منطقة تمي الإمديد مكتوب عليه: "أول كاهن لكبش، سيد جدت، الإله العظيم، سيد حياة رع، الأمير العظيم للمشويش، الذي يملك الأمر سمندس ابن الأمير العظيم للمشويش حور نخت[٢].

ويؤرخ يويوت Yoyotte هذا النص بفترة حكم أيوبوت الأول[٣]، ويتفق معه كتشن فى هذا الرأي ويؤكد كلامه بجملة وردت في مقالة كتبها بيقراث Becherath عن تسجيلات مستوى النيل فى الكرنك حيث ذكر نص الكرنك أن الملك بادي باست ومعه ملك غير معروف كرست له هذه اللوحة وهو الملك إيوبوت الأول[٤]، بينما يؤرخ فاروق جمعة هذا الإفريز بعصر الملك إيوبوت الثانى، ويعلل لهذا بأن فترة حكم أوبت الأول قصيرة لم تتجاوز ثماني سنوات بينما لملك أوبت الثاني حكم ٢٩ عاما من (٧٤٩: ٧٢٠ ق.م)، ويرجح أن هذا الأمير هو سمندس

(١) Kitchen, K.A., The Third Intermediate period in Egypt, p.350,491

(٢) Daressy, J., Inscriptions Historiques Mendesiennes RT,35,1913, pp.124-129

(٣) Yoyotte, J., Le Principautés du Delta au temps L'Anarchie Libyenne", p. 125, no. 11.

(٤) Becherath, J., The Nile Level Records at Karnak and their importance for the history of the Libyan period dynasties XXIII, *JARCE* 5, 1966, NO. 25, P.47

وكذا: Gomaa.F., Die Libyschen Furstentumer des DELTAS,II,p79

عاما من (٧٤٩: ٧٢٠ ق. م)، ويرجح أن هذا الأمير هو سمندس الثاني" الذي مات أو هزم قبيل حربه الملك "بيعنخي"[١].

حور نخت الثاني ابن سمندس

" خلف حورنخت والده سمندس على عرش جدت في العام الحادي عشر من حكم أوسركون الثالث (٧٥٩- ٧٤٩ق. م) أى حوالى عام ٧٦٧ق.م[٢]. مكث في الحكم حوالي عشر سنوات، وفي عهده أصبحت سايس " عاصمة لحكام الما الآخرين، و في تلك الفترة بسط أوسركون نفوذه على غرب الدلتا ومملكته ضمت بوتو في الشمال حتى كوم الحصن في الجنوب[٣].

الآثار التي وجدت عليها اسمه بالمنطقة قليلة حيث وجد اسمه على الجزء الخلفي من إفريز باب وجد فى تمي الأمديد وقد ذكر النص الموجود عليه انه" كاهن للكبش الأمير العظيم للمشواش، سيد الأمر سمنلمر أمه اللاجمة بصلاصل الكبش[٤].

---

(١) Ibid., p. 80.

(٢) Kitchen, J., The Third intermediate Period in Egypt, pp. 331, 350.

(٣) Ibid., p. 350.

(٤) Gomaà, F., Die Libyschen Fümer des Deltas, p. 80.

سمندس الثاني ابن حور نخت الثاني

خلط فاروق جمعة بينه وبين سمندس الأول ورجح أن الجزء الخلفي من إفريز الباب السابق ذكره يرجع لفترة حكم سمندس الثاني وليس الأول(١).

ولقد وصل سمندس الثاني إلى منصب حاكم الإقليم هذا بعد منازعات عديدة بين الطامعين فى الحكم، وهذا التنازع يفضه الأقوى، ثم بعد ذلك أكد شرعية الإله المحلى للمقاطعة وشكر كبش جدت لأنه جعله الرسول الأول بعدما اختاره من بين أقاربه ليكون سيد مسكنه(٢).

وينسب إليه التمثال الفاقد الرأس والموجود في متحف بروكلين تحت رقم (٣٧٣٤٤) وقام بنشره يويوت Yoyotte، الذى رجح أن مكان اكتشافه هو مدينة جدت، وهناك نص على التمثال يذكر: الأمير العظيم للمشواش، الكاهن المحبوب لإله آمون رع، سيد الأفق سمندس وهذا التمثال يدل على حالة الفوضى التى حلت بمصر فى تلك الفترة حيث اغتصب حكام المشواش سلطات الملك الدينية وهى نذر الهبات(٣).

وتجرأ حكام المشواش وصنعوا لأنفسهم صوراً لإتمام الطقوس الملكية بشكل نمطي، وللوهلة الأولى فإن تمثال بروكلين هو تمثال صغير

---

(١) Ibid., pp. 84-85

(٢) Yoyotte, J., Le Principautés du Delta au temps L'Anarchie Libyenne", p. 138, 17.

(٣) حيث قام حاكم جدت بتقديم الهبات للمعبود وصور ذلك على مسلة مدينة جدت، وهذا الطقس من المفروض أن يقوم به الملك، وهذه الآثار التى تؤكد ذلك تكشف عن نوع من الاغتصاب للسلطات الملكية. انظر: Ibid, p. 191

ملكي، يظهر الحاكم وهو يقدم الماء أو النبيذ إلى الاله، والحقيقة أن هـذا النقش يتعلق بسمندس نفسه، وفى الكتابات التذكارية لسمندس ابن حـور نخت يعلوها منظر لقربان عليه الرئيس الكبير للماء، زين بريشة ممـدة، يحمل على وسطه الصدار المثلثي وواقية الصدر معلقـة فـي الرقبـة، ويمسك بعصا النذر لكي يضرب أربعة عجـول متلازمـة ومقطوعـة الرأس، ثم بعيداً عن باقة البردي، منضدة أو هيكل يحمل كومة من الخبز ولقد قدم القربان إلى المعبود المحلى. وعندما يكون هناك جدول رسـمي مع استخدام دبوس النذور وقبان بأربعة ثيران، هذا الجدول فى أى معبـد معناه أن الفرعون يحتفل بالقداس.

والخلاصة أن كتابات جدت، وبشكل أدق النصوص التذكـارية "لسمندس " و حورنخت " تعطى مثالاً كـاملاً للاسـتقلالية الأخلاقيـة والمادية التي استطاع أن يكتسبها بعض الرؤساء الكبار للوجه البحـرى (الكهنة الأوائل) لمعبودهم الذى حفزهم على اسمه منذ ولادهـم والـذى يعرف بعمق مدى تفوقهم فهم الكهنة الأوائل الذين أعدوا سلفاً بواسـطة المعبود لحكومة مقاطعتهم، واعتلاء كراس الرش، على الرغـم مـن أن حور كان مكان أبيه فإن النصوص لم تكن تتحـدث إلا عـن المعبـود والرئيس الكبير[١].

وكان سمندس مثله مثل رؤساء المقاطعات في مصر السفلى، قـد لعب دور قائد الحرب ويظهر ذلك علـى التمثـال الخـاص بسـمندس

---

(١) Ibid.,p.141,S.26.

والموجود حاليا في متحف بروكلين حيث حفر عليه اللقب التالي من أجل القائد العظيم سمندس ويحمل التمثال صفات مخصصة لتمجيـــد الطـــابع القتالى للشخصية فهو " سيد الجيوش المحلية"ويعتبر القادة الكبار للما هـــم أيضا الكهنة الرئيسيين للآلهة الخاصة بمدنهم، و قد أعلن سمندس منديس للكبش قائلا "أنا خادمك"،.... ابن خدامك، وكان سمندس الرســـول الأول لكبش جدت[١].

ومات سمندس قبل غزو الملك بيعنخى لمصر، والذي يرجح هـــذا الرأى أنه عندما غزا بيعنخى مصر كان هناك أمير على جدت وهو "جـد أمي إف عنخ" وقد ذكر هذا الأمير في مخطوط[٢]، النصر الخاص بالملك "بيعنخى" وذلك فى حوالي عام ٧٢٠ ق.م[٣].

---

(١) Ibid., p. 139, S. 22

(٢) مخطوط النصر هذا نقش على لوحة ضخمة من الجرانيت الأسود، ارتفاعها ١٨٠ سم، وعرضها ٨٤ أسم وسمكها ٤٣ سم عثر عليها في السودان في معبد جبل البرقل ذاتـــه وتوجد حاليا في متحف القاهرة، والنص المصري موجود في معبد جبل البرقل ذاتـــه وتوجد حاليا في متحف القاهرة، والنص المصري موجود في Urk, II, pp. 4. انظر: كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصـــر القديمـــة المجلـــد الأول، ترجمة ماهر جويجاني، ط١، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٩.

(٣) Urk, III, No. 14.

وكذا: Gomaà, F., Die Libyschen Fümer des Deltas, pp. 85-86; Kitchen, J., The Third Intermediate Period in Egypt, p. 327.

الأمير"جد امن اف عنخ"

حكمْ الأمير جد امن اف عنخ جدت من عام ٧٣٥ ق. م إلى عـــام ٧١٥ق. م أي حوالي عشرين عاما قام فيها بإسقاط أسرة (حـــور نخـــت سمندس التى احتفظت بالسلطة خص خمسة أجبلى من عـــام ٨٣٥: ٧٢٨ ق.م(١).

ولقد اشترك هذا الأمير مع ابنه (عنخ حور) فى محاربة الغـــزو الكوشي بجانب الأمير نص نخت " في مصر الوسطى، وبعد غزو وفتـح هليوبوليس على يد بعنخى، رضخ كل من جد أمن اف عنخ، وابنه وباقي أمراء الدلتا لحكم الملك الكوشى، ولقد رأف الملك بيعنخى بحاله وأعـــاده إلى عاصمته جدت فى الدلتا(٢).

وقد وجدت صورته على لوحة الانتصار الخاص بالملك "بيعنخى" مع صور الأمراء الثلاثة الآخرين، وهؤلاء الأمراء اســـماؤهم مشـــوهة ومدمرة تماما على جدران معبد جبل البرقل(٣).

---

(١) Gomaà, F., Die Libyschen Fümer des Deltas, p. 86.

(٢) Kitchen, J., The Third Intermediate Period in Egypt, p. 327.

(٣) Dunham, J., The Barkal Temples, 1970, pl. (A 3075).

الأسرة الثالثة والعشرون

تمكن الثلاثة ملوك الأخيرين في الأسرة الثانية والعشرين من الاحتفاظ بسلطتهم على قسمي المملكة الشمالي والجنوبي فيما عدا الفترة التى حكم فيها بادي باست" في طيبة (كما أشرنا) حيث انتزع السلطة من ملوك بوبسطة، ويرى مانيثون أنه مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين ولكن يبدو حسب ما يفهم من بردية في فينا- أن بعض الاضطرابات حدثت في السنة الرابعة عشرة من حكمه وأنه اضطر إلى أن يقتسم السلطة مع أحد أمراء شرق الدلتا.

ولا ندرى على وجه التحديد هل كان "بادي باست" من سلالة كهنة طيبة وتمكن من انتزاع السلطان من أمراء بوبسطة ثم تمكن أحد هؤلاء من أن يقتسم معه السلطة على أثر ثورة قام بها، أو أن "بادي باست" كان مغتصبا لا علاقة له ببيت الكهنة ولا بالبيت المالك في الشمال، وحينما سنحت الفرصة ثار عليه أحد أمراء الشمال وتقاسم السلطة معه.

وعندما اعتلى شيشنق الرابع خليفة بادي باست نجح في توحيد البلاد من جديد، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن إلا ظاهريا فقط لأن منافسات شديدة قامت بين أمراء الإقليم الذي كانوا يشعرون بأنهم من القوة بحيث يستطيعون الخروج على سلطان الملك وعلى ذلك حدثت اضطرابات مختلفة، فمن ذلك مثلا حدث عند اشتداد المنافسات بين أمير تمي الإمديد وأمير عين شمس إذ انضم إلى كل منهما فريق من الأمراء ونشبت بسبب ذلك حروب عجز فيها "بادي باست" وخليفته "شيشنق الرابع" عن حقن الدماء.

وما أن تولى "أوسركون الثالث" بن "شيشنق الرابع" حتى كانت البلاد قد انقسمت إلى إمارات صغيرة تتشاحن فيما بينها، وكانت الإمارات التى تمتد من الوجه البحري إلى الأشمونين تتقاتل فيما بينها بصورة تشبه إلى حد كبير ما كان يحدث في عصور ما قبل الأسرات، وقد وصلنا نحو ثمانية عشر اسما لأمراء من هؤلاء المتنازعين، وفى خضم هذه الاضطرابات التي كانت تعانى منها البلاد والتي جعلت من ملكها أشبه بحاكم على إقليم العاصمة "بوبسطة" ولا يتعدى نفوذه كثيرا حدود هذا الإقليم كانت إسرائيل في صراع مع دولة آشور فلم تتمكن مصر تقديم المساعدة لها، بل وكانت مصر بالنسبة لظروفها الخاصة تعد فريسة سهلة لكل من يطمع فيها من جيرانها ولكن لم يغامر أحد بالإغارة عليها في ذلك الوقت، واستمر بعض خلفاء "أسركون الثالث" يحكمون فترة وجيزة إلى أن ظهر أمير قوى في "سايس" (في غرب الدلتا) هو "تف-نخت" الذى حاول أن يخضع كل أمراء الدلتا لسلطانه. وفى نفس الوقت كانت أسرة حاكمة قد تكونت فى نباتا واستطاعت أن تبسط سلطانها على كل السودان الشمالي وبلاد النوبة ومصر العليا حتى طيبة.

وأول من سمعنا عنه من ملوك هذه الأسرة النبتاوية في النصوص المصرية هو "كاشتا" ثم تلاه "بعنخي" الذى أخضع البلاد كلها لسلطانه، ولذا يعتبره بعض المؤرخين مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين كما يطلق فريق من المؤرخين على هؤلاء النبتاويين اسم "الأسرة الأثيوبية" لكن نظرا لاختلاف مدلولات إثيوبيا والنوبة باختلاف العصور، وعدم دلالة أيهما على كل الأجزاء التى ارتبطت بمصر أيام الفراعنة، ولعدم تأكدنا من أصل هذه الأسرة حتى الآن فإننا نفضل الإشارة إلى هذه بالاسم المشتق من اسم عاصمتها نباتا أي "الأسرة النبتاوية".

وقد يكون من المفيد وحديثنا عن الأسرة ٢٣ أن نشير إلى هذا البحث عن:

الملك أيو ـ وبت *iw-wpt* [١] والأسرة الثالثة والعشرين

مقدمة:

يتناول هذا البحث قضية تاريخية أساسية ترتبط بموضوع تأسيس الأسرة الثالثة والعشرين، والتي تمثل شخصية "أيـو- بـت" فيـها دورا محوريا. إذ أختلف المؤرخين في تحديد هوية صاحبها من حيث كونـه شخصية واحدة أو اثنين.

فمما لا شك فيه، أن فترة الأسرة الثالثـة والعشـرين والأسـرة السابقة لها إنما تمثل إحدى الفترات الغامضة في تـاريخ مصـر حيـث تميزت بالخلل الإداري وازدياد نفوذ الكهنة مع ضعف السلطة المركزية، ولهذا انعكس ذلك في اختلاف أراء الباحثين حول كيفية قيام هذه الأسـرة وعدد ملوكها، ففي الوقت الذي ذكر فيه المؤرخ المصري "مـانيثون" أن عدد ملوكها أربعة أشارت أراء أخرى- استنادا للمادة الأثرية- أنهم أكثر من ذلك، وقد ذكرت بعض هذه الآراء الملك "أيو-بت" (ايبوت) الأول مع إغفال الثاني.

وتذهب معظم الآراء التاريخية إلى قيام الأسرة للثالثة والعشـرين أثناء حكم الملك شاشنق الثالث (الأسرة الثانية والعشرون)، الذي تولـى العرش خلفا لوالده "تكلوت الثاني" في الوقت الـذي كـان طـه أخيـه

---

(١) محمد علي سعد الله: بحث منشور عن أيو وبت عام ١٩٩٩.

"وسركون" الذي شغل منصب كبير كهنة آمون في طيبة يطمح في الوصول للعرش وانه سيكون الوريث لأبيه "تكلوت الثاني" مع مراعاة أن رئاسته للمنصب الكهنوتي في طيبة لم تكن مقبولة من الأهالي التي تكررت ثوراتهم ضد كبو كهنة آمون وكل هذا بالإضافة إلى رؤساء الأقاليم من الماشواش والليبو، كان سبباً في ضعف سلطة الملوك، الأمر الذي انتهزه الملك "بادى باست- الأول" في تأسيس أسرة ملكية جديدة هي الأسرة الثالثة والعشرين.

الملكان ايوه وبت الأول والثاني وما دار حولهما:

غير المعروف هوية الملك "بادى- باست الأول" (٨٢٨- ٨٠٣ ق. م) مؤسس الأسرة الجديدة. وعلاقته بالأسرة الثانية والعشرين المعاصرة وعاصمتها في بوبسطة (تل بسطة الحالية)، وهناك من يرى فيه مؤسس لفرع ثان من الليبيين خرجوا بتأييد من طيبة وظلوا متمسكين بالأسماء الليبية، كذلك يحيط الغموض بالدور الذي قام به "حور-سا-ايست الثاني" الذي تولى منصب كبير كهنة آمون في تدعيم العرش الجديد (راجع جدول رقم ١).

بينما يرى Brian Muhs في بحثه عن استخدام الصفات الملكية وبصفة خاصة "ابن ايزة" و"ابن باستت" في الأسماء القريبة من الأسوات ٢٢،٢٣ الطيبية. أن "بادى باست" استخدم صفة ابن باستت" أربع مرات بينما استخدم صفة "ابن ايزة" مرة واحدة في الكرنك مما يعني إمكانية الارتباط بين "بادى باست" والأسرة الثانية والعشرين عن طريق القرابة

بـــ "وسركون الثاني" صاحب الحق الشـــرعى، وتتفــق الســـنة الأولـــى للفرعون "بادى باست الأول" حوالي ٨٢٨ ق. م. الســـــنة الثامنـــة لـــــ "شاشانق الثالث" (الأسرة ٢٢) وحكم الفرعونان معا كل فـــي عاصمتـــه وحافظا علاقات الأمر الواقع بينهما، وعندما اندلع النزاع بينـــهما وقـــف كبير كهنة آمون "حور-سا-ايست الثاني" ومن بعده الكاهن تكلوت الثاني في صف "با-دى-باست الأول" بينما وقف وسركون فى صف شاشـــانق الثالث" واحتفظ بمنصب كبير كهنة آمون، وتم اقتسام النفـــوذ بينـــهما إذ شاشانق سيطر على شمال مصر العليا، بينما "بـــادى- باســـت" جنـــوب طيبة.

وفى السنة الرابعة عشرة من حكم "بادى باست" اشرك معه فـــي الحكم الملك "ايو-وبت الأول" (٨١٤- ٧٩٠ ق. م) الذي يراه البعض انه كان ابنا لـــ "بادى -باست الأول" بينما يـــراه البعـض الآخـــر ومنـــهم Murnane أنه اضطر لعقد تحالف مع "ايو- وبت " وأشركه معـــه فـــي الحكم وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية ومنها تسجيلات مقاييس النيل علـــى رصيف معبد الكرنك (النقش ٢٦) الذي سجل في العام السادس عشر من حكم بادى باست الأول الموافق للعام الثاني للملك "ايو-وبت الأول "



p3y ḥ3py ḥ3t-sp 16 Nswt-bity (mry-Imn p3-di-Bˁstt) nty ḥ3t-sp 2 Nswt-bity (mry-Imn Iw-wpt)

".... المنتسب إلى حعبى، العام السادس عشر من (عهد) الملك بــادي-باست (الأول) ملك مصر العليا والسفلى الموافق للعام الثاني للملك أيـو-وبت ملك مصر العليا والسفلى"

ومما هو جدير بالذكر أن هذه التسجيلات لمقاييس النيل تســاعد على تأريخ فترات حكم الملوك المختلفة بشكل عام، وتؤكد سيطرة ملـوك الأسرة الثالثة والعشرين على طيبة خلال الفترة بوجه خاص، فضلا عن سيطرة كبير كهنة آمون في طيبة في كثير من الفــترات وبمــا يعكــس بالضرورة ضعف الملوك أمام الكهنة إلى الدرجة التي سمحت لهم بوضع أسمائهم أحيانا داخل الخراطيش الملكية. كما سمح لهم بوضع أسمائهم مع الملك في نقوشه ذاتها وهو ما يعكسه المثال التالي على رصيــف معبــد الكرنك:

"...... العام الــ ١٩ للملك مرى آمون بــادى -باســت (الأول) وقت الكاهن الأكبر لآمون "حور-سا- ايست"....

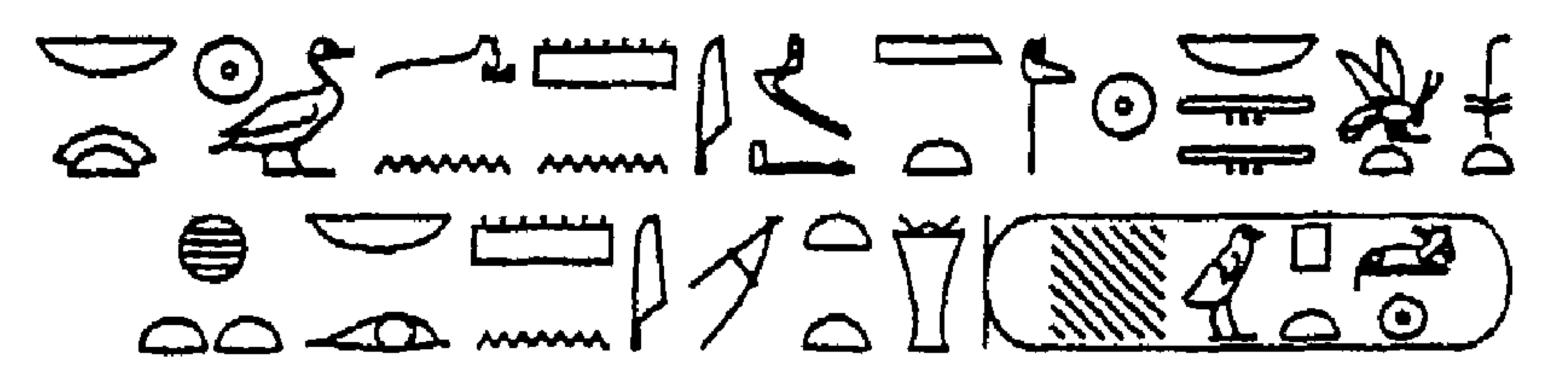
"...... العام الــ٢٣ للملك مرى آمـــون بــا-دى باســت الأول والكاهن الأكبر تكلوت. (رقم ٢٩).

وفى لوحة العطايا التى تسجل هدايا الأرض الممنوحة للمعــابد أو الأشخاص والمعطاة إلى "حورس الطفل" (حربــاغرد) ومقــره منديــس (عاصمة الإقليم السادس عشر في الوجه البحري) بواسطة الرئيس العظيم والقائد "حورنخت" ابن الرئيس العظيم للما "نسى خبيت":

وهو *T3-nt-Rmw* هـــو نفـــس الموضـــع *T3-nt* أرض الأسماك، متطابق مع الاسم اليوناني الذي أطلق على المكان لينتوبوليس.

كما يرى "دى روج" أن مدينة *T3-ˁm* التي ظهرت علـــى لـــوح "بغنحي" كانت خاضعة للملك "أيو-ويت" وهذه المدينة غير واضح موقعها والرأي الأقرب أنها تقع في منطقه شرق الدلتا وأنها من مجاورات "ثنــت رمو" وأنهما كانتا خاضعتين للملك "ايو- بت".

كذلك عثر للملك "أيو-وبت" في تل المقدام علـــى مفصلـــة مـــن البرونز كانت جزء من باب ضخم كأبواب المعابد محفوظة في المتحــف المصري حاليا تحت رقم ٣٨٢٦١ كتب مع طرفها العلوي نقشا بعنايـــــة فائقة:



Nswt-bity nb t3wy wsr-m3ˁt-Rˁ stp-n-'Imn s3-Rˁ nb ḫˁ(w) 'Iw-Wpt mry B3stt 'Imn nb ir(t) ḫt

"ملك مصر العليا والسفلى سيد الأرضين وسروماعت رع المختار مـــن رع-بن رع سيد الإشراق ايو بوت محبوب باستت وآمون سيد العطايا"

وهكذا يتفق الباحث مع الرأي القائل بان الملك "ايو-بوت الثـــاني" هو آخر فرع ملوك الأسرة الثالثة والعشرين وهن الخلف المباشر للملـــك "رود آمون" الذي تولى العرش لبضعة أعوام فقط بالإضافة إلـــى فـــترة

كانت تقدر بنحو ١١ عاما للملك "ايو بوت الثاني مما يعنى أن الأسـرة الثالثة والعشرين قد استمرت نحو تسعون عام، وحكمها الملوك:

١- وسر ماعت رع- ستب آن آمون بادى باست الأول.

٢- وسر ماعت رع- ستب آن آمون- أيوبوت الأول.

٣- وسر ماعت رع-مرى آمون- شاشانق الرابع.

٤- وسر ماعت رع ستب آن آمون وسركون الثالث.

٥- وسر ماعت رع ستب أن آمون- تكلوت الثالث.

٦- وسر ماعت رع ستب آن آمون-رود آمون.

٧- وسر ماعت رع ستب آن آمون- ايو بوت الثانى.

"...... مزرعة من أرورة (حوالى ٥,٨ فدان مهداه إلى حــورس الطفل (جور باغرد) عنخ حور باغرد ابن الرئيس سـيد منديـس...... والذي سوف بستولى (على هذه الأرض): سوف يهاجم ويتعرض لـلأذى هو وزوجته وأولاده. كبش منديس الإله العظيم سيد الحياة حات محيـت (إله منديس القديمة) وحربوقراط سيعدمونه بواسطة قطع رأسه وسوف لا يسمحون لأبنه الأكبر إن يخلفه....

ويتفق "كيتشن" Kitchen وهلك Helck وغيرهما من البـاحثين على أن لوحة العطايا لسمندس تنتمى إلى عام ٢١ من حكم "ايو-وبـت الأول. (راجع جدول رقم ٢ الخاص بحكام منديس).

ومما يرجح هذا التاريخ العثور على لوحة فى منديـس (حاليـا ضمن مجموعة متحف جامعة فمتر اسـبورج) لحـاكم منديـس أمـير المشواش "حورنخت" وقد مثل فيها الملك شاشانق الثالث (الأسـرة ٢٢) المعاصر لبادى- باست الأول، "ايو-وبت الأول" وذلك في العام الثلاثيـن من حكمه وهو يتعبد لثالوث آلهى.

ويرى "كيتشن Kitchen أن فترة حكم الملك "بادى- باست الأول" التى تقدر بنحو٢٥ عاما اقرب إلى الواقع من المدة التى قدرها له المؤرخ المصري مانيتون" والتي تقدر بنحو٤٠" عاما أما بالنسبة للملك "ايو-بوت الأول" فلقد استمر في الحكم لمدة واحد وعشرين عاما ومات في السـنة الثانية والعشرين بعد أن: حكم عشر سنوات منفردا بعـد وفـاة الملـك "بادى- باست الأول" وخلفه الملك شاشانق الرابع (٣٨٠٣-٧٩٧ ق.م).

ويتفق عدد من المؤرخين بأن الأسرة الثالثة والعشرين تعود بأصلها إلى تانيس وأنها نجحت في التواجد المميز في طيبة وخاصة في الجانب الديني من خلال منصب كبير كهنة آمون في نفس الوقت الذي حرص فيه ملوكها بداية من "بادى باست" على أن تكون عاصمة الأسرة في الشمال في لبنثوبوليس (المرجح كونها تل المقدام الحالية المجاورة لقرية كفر المقدام إلى لشرق من ميت غمر محافظة الدقهلية).

أما عن الملك "ايو-بوت الثاني" (٧٣١- ٧٢٠ ق.م) فيتفق كثير من الباحثين على كونه قد خلف للملك زود آمون، أخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين وكان لديه حكم محلى فعال في عاصمة الأسرة "لينتوبوليس" والأماكن القريبة منها، في الوقت الذي انقسمت مصر إلى دويلات صغيرة تتشاحن فيما بينها طمعا في السيادة على كل مصر وهو ما صورته لوحة "بعنخى" الذي خلف والده كاشتا في السيطرة على مصر، ومن خلال هذه اللوحة والتي اهتمت بتسجيل عدد من الملوك والأمراء الذين اقتسموا السلطة في مصر العليا والوجه البحري ومنهم "تف-نخت" أمير صا الحجر (سايس) مؤسس الأسرة ٢٤، الملك اوسركون الرابع (بوباسطة)، والملك "أيو-وبت الثاني" حاكم ثنت رمو.

ويرى "يويوت .Yoytte, J" "أن هذا الملك هو أخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، وقد جاء اسمه على لوحة بعنخى حيث كان يحكم في مدينة *T3-Rmw* "تارمو" بمعنى أرض الأسماك، كما أن اسم تل المقدام

جدول رقم (١)

منصب كبير كهنة آمون في طيبة خلال الأسرتين ٢٢، ٢٣

الكاهن الأكبر السنة لـ شاشنق الثالث	السنة الخاصة للملك شاشنق ٣	السنة الخاصة بالملك بادي-باست ١	الكاهن الأكبر للملك بادي-باست ١
الكاهن حور-سا-ايست الثاني	٦		
الكاهن حور-سا-ايست الثاني	١٢	٥	الكاهن حور-سا-ايست الثاني
؟	١٤	٧	الكاهن حور-سا-ايست الثاني
		٨	الكاهن حور-سا-ايست الثاني
الكاهن وسركون	٢٢		
الكاهن وسركون	٣٢	١٦	؟
الكاهن وسركون	٢٤		
الكاهن وسركون	٢٥	١٨	الكاهن حور-سا-ايست الثاني
		١٩	الكاهن حور-سا-ايست الثاني
الكاهن وسركون الكاهن وسركون	٢٨ ٢٩	٢٣	الكاهن تكلوت الثاني

جدول رقم (٢)

الخاص برؤساء منديس

رؤساء مندين	الحكم والأسرة	التاريخ
نس خبيت (Nes-Khebit)		
حور نخت (A)	السنة ٢٢ للملك شاشنق الثـــالث الأسرة ٢٢	٨٠٤ ق.م
سمندس	السنة ٢١ من حكم الملك ايبـوت الأول الأسرة ٢٣	٧٨٤ ق.م
	(الشكل ٣ BSFE 25)	
حور نخت (B)	السنة ١١ للملك وسركون الثالث	٧٦٧ ق.م
"X" جدحور	المخروط الطيبي ٣٧٨	٧٥٥-٧٤٠ ق.م
جد آمون اف عنخ	السنة ٢١ بعنخي الأسرة ٢٥	

نقلا عن: Kitchen, K., Two donation Stelae in the Brooklyn Museum, JARCE, 8, 1970, P. 60.

خاتمة البحث:

يتضح من خلال هذا البحث مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: تعاصر كلا من الأسرة الثانية والعشرين مع الأسرة الثالثة والعشرين في نفس الوقت ومن عاصمتين مختلفتين هما تانيس ولينتوبوليس، مع مراعاة أن قيام الأسرة الثالثة والعشرين كان نتاجا طبيعيا لضعف سلطة الملوك مع ازدياد سلطة رؤساء الأقاليم وزعماء الأسر المهجنة من الماشوش والليبو وتزكية فرع من الأسرةَ المالكة على فرع أخر بحق أو بلون حق مما جعل الملوك في النهاية ألعوبة في أيدي الكهنة والأمراء.

ثانياً: لجوء ملوك الأسرات الليبية بداية من عهد "وسركون الأول" (الأسرة الثانية والعشرين) إلى الارتباط بالدين بصفة عامة وآمون بصفة خاصة، وذلك بجعل منصب كبير كهنة آمون محصورا بين أولادهم. وكذلك تزويج بناتهم بكبار كهنة آمون هادفين من ذلك السيطرة على العرش الفرعوني وكذلك السيطرة على ثروات المعابد من أرض وأموال وثروة حيوانية ونفوذ ديني له كل التأثير على المجتمع المصري القديم.

ثالثاً: من خلال الأدلة التاريخية المتوفرة حاليا وعلى سبيل التخصيص فأن الملك "ايو-بوت الأول" قد اشترك في الحكم مع مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين الملك "بادى- باست"، كذلك فمن خلال المادة

الأثرية والنصية فإن الملك "ايو-بوت الثاني" هو آخر ملوك الأسرة الذي عاصر غزو بعنخي لمصر.

رابعاً: أدت قلة المادة الأثرية والنصبة إلى صعوبة تأريخ تلــك الفــترة وبيان علاقة ملوكها بملوك الأسرة الثانية والعشرين، وأهم أعمــال ملوكها وأيضا علاقات ملوكها بالأمراء المحليين.

خامساً: يلاحظ أن حالة الضعف والتفتت التى أنتــايت مصــر خــلال الأسرة الثالثة والعشرين كانت سببا في تضخم طبقة الكهنة والقــادة المحاربين الذين كونوا طبقة إقطاعية سعت إلــى امتــلاك الأرض وتكوين الثروات والسعي إلى تحقيق المصــالح الشــخصية علــى حساب مصالح البلاد.

سادساً: حفلت تلك الفترة باهتمام بعض ملوكها بالدين وعمارة بعــض المعابد طلبا في حماية المعبودات لأنظمتــهم السياســية الضعيفــة وحماية من ثروات الأهــالي المدركيــن للاضطــراب الداخلــي والخارجي بشكل خاص والتأخر الحضاري بشكل عام.

الأسرة الرابعة والعشرون:

نقلا عن المؤرخ المصري "مانيثون" بوجود حمل تنبأ بصوت آدمي بأن مصر ستتعرض للغزو الآشوري (فيما بعد)[٢] وهو تطور منطقي لسير الحوادث حيث انقسمت البلاد في الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين إلى مملكتين وعاصمتين منفصلتين إحداهما في الشمال والثانية في الجنوب، مع حكام ضعاف سمحوا لعدد من الحكام بأن يستقلوا بأقاليمهم، وفي الدلتا التي انقسمت لعدد من الأقاليم المتنازعة، نجح "تف نخت" حاكم سايس الذي حمل عدد من الألقاب الدينية والألقاب الدنيوية من بينها لقب الرئيس العظيم للغرب، سيطر على غرب الدلتا مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين[٣]. وحوالي حمكاء ٧٣٠ ق. م بعد أن استولى على غرب الدلتا وحصنها أخذ المبادرة وحاصر تانيس وبوبسطة، واستسلمت له منف وهرمولوليس وباقي مناطق الدلتا الشمالية، ثم وجه جهوده إلى مصر العليا، وعند هذه النقطة قرر "بعنخي" غزو مصر ليمنع "تف نخت" من

---

(٢) سر آلن جاردنر، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٦٦.

(٣) Youotte, J., notes et documentas youe servir aa L'Histoire de Tanis, *Kemi*, 21, 1971, p 355.

التقدم ابعد مـــن مصـــر الوســـطى[٤]. ويعـــد "بعنخـــى" هـــو مؤسســـس الأسرة الخامسة والعشرين فـــي مصـــر، وهـــى المعروفـــة بالأســـرة النبتاوية نسبة إلى "نباتا" التى تعد أصل ملـــوك الأســـرة، وهـــى تقـــع شمال الجندل الرابـــع علـــى الضفـــة الشـــرقية لنـــهر النيـــل، وهـــى عاصمة بلاد كوش، وترتبط ارتباطا وثيقا بمعبـــد آمـــون الـــذي يقـــع عند سفح حافة صخـــرة بـــارزة مـــن جبـــل برقـــل تعـــرف بـــالجبل المقدس.

---

(٤) White, M., Ancient Egypt its culture and history, NY, 1952, p. 188-189.

هوامش البحث

١- طبقا للحروف الصوتية التي كتب بها اسم الملك والتي أخذت هذا الشكل var. ، فإن الباحث يقرأه "أيو-وبت" *Iw-wpt* وهناك قراءات أخرى لدى علماء المصريات مثل: أيو بوت- إيو بوت- إيبوت. والاسم من الأسماء النادرة ولم يتكرر كثيرا منذ عنصر كبير كهنة آمون (أيو-وبت) بن شاشنق الأول، انظر:

Daressy, G., Le Roi Auput et son Domanie Rt, 30,p. 203.

٢- Winkeln, K.J., Historische probleme der *3* Zwischenzeit, JEA, 81, 1995, p. 140.

٣- Bear, J., The Libyan and Nubian Kings of Egypt: Notes on the Chronology of dynasties XXII to XXXVI, JNES, 32 1973, p. 16.

عن ثورة أهل طيبة وتمردهم وما أعقب ذلك من فوضى سياسية أنظر:

El-Good, P.G., Later Dynasties of Egypt, Oxford 1951, p. 50.

٤- Bear, K., op.cit, p. 5.

٥- White, M., Ancient Egypt, New York 1970, p. 1870.

وكذا: El-Good, P.G., op.cit., pp. 50-51.

Breasted, H.J., ARE, IV, 403.

٦- Muhs, B., Partisan Royal epithets in the late thirs Intermediate period and the dynastic affiliations of Pedubast I and I Iuput II, JEA.

٧- Bear, J., op.cit., p. 15. وكذا: El-Good, p.G., 50.

٨- Bear, J., op. cit., p. 22.

٩- نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جوجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة ١٩٩٣، ص ٥٢٥.

١٠- Murnane, W., Ancient Egyptian Caregencies, Chicago, 1997, p. 89.

١١- برغم الاختلاف في شكل الخرطوش فإن دارسي قد أرجعه إلى الملك "أيو-وبت الأول". أنظر: Daressy, G., op. cit., p. 283.

وكذا: Von Beckerath, J., The Nile Level Records at Karnak, JARCE, 5, 1966, p. 47.

Breasted, J.H., ARE, IV § 794, p. 403.

١٢- Ibid., ARE, IV, § 830.

وكذا: El-Good, P.G., op. cit., p. 50.

١٣- Von Beckerath, J., op. cit., p. 47.

١٤- لوحة ٣٢,٣من الحجر الجيري ارتفاعها نحو ٥٢,٣سم وعرضها ٣٢,٣سم وسمكها حوالي ٦,٥سم، انظر:

Kitchen, K., Two Donation Stelae in the Brooklyn Museum, JARCE, 8, 1970, p. 59.

وقد تعرف على اللوحة جون يويوت، ومينيث كيتشن حيث اتفقا على تأريخها بحكم الملك شاشانق الثالث الأسرة الثانية والعشرين ومعاصريها في الأسرة ٢٣. أنظر:

Yoyotte, J., Promenade a Travers Les sites Ancient du Delta, BSFE, 25, 1958, Fig. 3, p. 21.

١٥- راجع: Kitchen, J., op. cit., p.60.

وعن "حات محيت" يمكن القول أن الإلهة "حات محيت" ربة الأسماك، إلهة مقاطعة "منديس" في الدلتا بالإقليم السادس عشر، قد مثلت على هيئة سمكة أو امرأة تحمل رمز السمكة فوق رأسها. كما ارتبطت بالإلهة "حتحور" وبكبش مدينة "منديس". أنظر:

ى. تشرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٣٨.

Chasinat, E., Le Mamisi d'Edfou, MIFAO, 16, Le Cairo, 1939, pp. 96-97;

Engelbach, R., Notes on the Fish of Mendes, ASAE, 24, 1924, p. 100.

١٦- Helck, W., Iuput, LÄ, Ban III, sp. 214.

١٧- Goma, F., Die Libyschen Furstentumer des Delats vom rode Oserkons II. Bis zur Wiederverei nigung Ägyptens durch psammetik Wesbaden, 1974, pp. 76-77.

١٨- Kitchen, K., The Third Intermediate Period in Egypt (1100- 650 B.C), England, 1973, P. 124.

١٩- Bear, J., op. cit., p. 21.

٢٠- الأصل التأسيسي لمؤسس الأسرة "بادي-باست الأول" استناداً على العثور على قطعة من جذع تمثال برونزي له وجدت في تانيس بواسطة بتري، انظر:

Idem, op. Cit., p. 128.
Review on; Murnane, W., "Ancient Egyptian Coregencies, JNES, 39, 2/1970, p. 171.

هناك آراء أخرى لا تتفق على كون "لينتوبوليس"."ايم بحو" هي مقر الأسرة ٢٣ بسبب دفن والده الملك "أوسر كون الثالث" هناك، وتقترح مصر العليا وطيبة على وجه الخصوص مع إمكانية التراجع إلى هرموبوليس (الأشمونين) في مواجهة التوسع الكوشي" أنظر:

Spencer, P.A. and Spencer, A.J., Notes on late Libyan Egypt, JEA, 72, p. 198.

٢١- Gauthier, H., Dic, Geo. I, pp. 73-74.

٢٢- عن لوحة بعنخي وتفاصيل السيطرة على مصر، راجع:

Breasted, J.H., ARE § 814-818, pp. 417-421;
وكذا: Leclant, J., Pi (anchi), LÄIV, Sp. 1051.

٢٣- Kitchen,K.,The Third Intermediaten Period in Egypt, p. 128.
وكذا: El-Good, P.G., op. cit., p. 58.

ذكر (هلك) أن "ايو-وبت" ورد ذكره في لوحة النصر لبعنخي باسم "ملك ثنت رمو "والمقصود بها بوجه عام تل المقدام، وربما تمتد شمالاً حتى تانيس انظر:

Helck, W., op. cit., p. 214.

٢٤- Yoyotte, J., La ville de Ta Remou (Tell El-Muqdam BIFAO, 52, 1953, pp. 189-192).
Lefebvre, G., Textes Egyptians du Louvre, RDE, I, 1933, p. 91.

٢٥- De Rouge, J., Geographie Ancienne, La Basse-Egypt, Paris, 1981, pp. 50-56.

٢٦- Daressy, G., op.cit., pp. 202-203.

٢٧- Kitchen, J., op. cit., p. 128.

الفصل الرابع

الأسرة الخامسة والعشرون

الأسرة الخامسة والعشرون:

أصل ملوك الأسرة: البحث في أصل الأسرة التى تولت حكم مصـــر والسودان القديم من حوالي منتصف القرن الثامن حتى حوالي القرن الســابع ق.م (٧٥١- ٦٥٦ ق. م) في غاية الأهمية لأنه يمثل جزءا هاما من تاريخ بحد النوبة رمصر، كما يتناول العلاقات الإنسانية ببن شطري الوادي فـــي مرحلة بلغت الأحداث التاريخية في وادي النيل لدرجة كبيرة من الأهميـــة. ولقد ظل موضــــوع البحـــث فـــي أصـــل تلـــك الأســـرة مثـــارا لثلاثـــة افتراضات،تناولها العديد من العلماء ومنهم الأساتذة: محمد إبراهيم بكـــــر، ودنهام، وريزنر، في المواقع الأثرية المعروفة بأســـماء الكـــرو، ونـــورى ونورى، والبرقل، بالإضافة إلى حفائر "ريزنر" في كرمة، وحفائر كل مـــن فيرث وشتيندورف ويونكر في منطقة النوبة السفلى[١].

وتتلخص الافتراضات حول هذا الموضوع إلى ثلاثة أراء:

١- الافتراض القائل: بان أصل تلك الأسرة مصري[٢].

٢- الافتراض القائل: بان أصل الأسرة ليبي[٣].

٣- الافتراض القائل: بان البيت الحاكم فى نبته المؤسس للأســـــرة الخامسة والعشرين فيما بعد من أصل محلى[٤].

ولمناقشة هذه الآراء الثلاثة ينبغي أن نتعرض لكل فرضية على حدة:

---

(١) محمد إبراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٠٣.

(٢) Budge, W., The Egyptian Sudan, London, 1907.

Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, 1972, p. 342 ff.

(٣) ElGood, p., Later Dyanasties of Egypt, Oxford, 1951, p. 52.

(٤) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ١٠٢.

أولاً : بشأن النظرة الفاحصة للأسانيد التى حاولت الفرضية الأولى- القائلة بالأصل المصري، استنادا على الطابع المصري لحضارة تلك الأسرة، وعلى تمسك أفرادها بعقيدة آمون وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة في تلك الفترة، وكذلك وجود أسماء مصرية لعدد من ملوكها مثل اسم "بعنخى" الذي يتماثل مع أسم "بعنخى" ابن حريحور الكاهن الأكبر (أسرة كهانة طيبة) منذ الأسرة الحادية والعشرين، هذا بالإضافة إلى"تقوى الملوك الأوائل فى الأسرة وإخلاصهم لآمون، والمتتبع لتاريخ العلاقات الحضارية بين مصر والسودان منذ فجر التاريخ يدرك أن الطابع المصري لأصحاب تلك الأسرة لابد أن يعود إلى الروابط المتينة والمتبادلة بين المنطقتين منذ فجر التاريخ، بما في ذلك استقرار أعداد كبيرة من المصريين في النوبة ليعملوا ضمن أفراد الإدارة المصرية أو في الحصون المصرية هناك، كما أن انتشار الكهنة المصريين في معابد كوش حتى الجندل الرابع كان له أثر كبير في نشر الثقافة والعقائد المصرية.

أما فيما يتعلق بظهور الأسماء المصرية بين أصحاب البيت المالك مثل "بعنخى"، وحرسيوتف. وبين أبناء ملوك ذلك البيت مثل "حور أم أخت" من الملك شباكو، أبناء طهارقة نيسونحرت، ونيسوشو -تفنوت، وأمنرديس عطية آمون ابنة الملك كاشتا وإحدى زوجات "بغنخى"، بالإضافة إلى بعض الأسماء المصرية التى حملها نفر من الموظفين والكهنة.

والأمر الذي لا جدال فيه هو تأثير كهنة آمون في تلك المناطق ولا يستبعد أن يكون فريق من الكهنة قد هرب فعلا إلى "نباتا" بعد سيطرة

العناصر الليبية، مع مراعاة عدم المبالغة في دور كهنة آمون حتى لا نصل إلى نتائج خاطئة[1].

كذلك من الملاحظ أن هؤلاء الملوك الذين حملوا أسماء مصرية لم يقيموا لهم مقابر في مصر، ولكن تم دفنهم في جبانة الكورو[2] وغيرها من بلاد النوبة، وحافظ معظم ملوكهم باستثناء "بعنخى" على أسماؤهم النوبية.

ثانياً: والافتراض المنادى بالأصل الليبي للبيت الحاكم في نباتا بافتراض أن فرعا من الليبيين الجنوبيين (الطمياح) اتجه خلال الهجرة الكبرى للقبائل الليبية الشمالية نحو الدلتا ومصر الوسطى، وفى نفس الوقت تقريبا، متخذا طريق الواحات أو طريق درب الأربعين جنوبا حتى وصل إلى دنقلة وحدث ذلك في زمن الملك شيشنق الأول، وهناك استطاع زعيم هذه القبيلة أن يجمع في يده سلطة نائب الملك في كوش، واصبح كغيره من حكام الأقاليم المصرية من الأمراء الليبيين، ويرى "ريزنر" أن أقدم مقابر "الكرو" هي مقابر أسلاف الملك "بغنخى" مدللا رأيه بوجود عدد من رؤوس السهام ذات الطراز الليبي (في رأيه).

كذلك عثر في المقبرة رقم ٥٣على لوحة خاصة بزوجة الملك "بغنحى" المسماة "تابيرى" وعليها لقب "سيدة الطمياح" الليبيين الجنوبيين،

---

(١) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) تقع جبانة الكورو على بعد ١٠ أميال جنوب جبل البرقل على الضفة اليمنى لنهر النيل جنوب الجندل الرابع، انظر:

Dunham, D. The Royal cemeteries of Kush, Elkurru, Cambridge, 1950, p2 ff.

ذلك لأن الملكة المذكورة ابنة "آلرا Alara أقدم رئيس لأسرة الملك "بغنخي"، كذلك يرى ريزنر أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة ليبية الأصل(١).

وقد تم تحليل هذا الافتراض:

فيما يختص بروؤس السهام من حجر الصوان وحجر الكوارتز ذات الشكل المجنح والتي عثر عليها في أربع من مقابر "الكرو"، والتي يرى "ريزنر" أنها ليبية الأصل، كما أشار أيضا إلى العثور على عدد أكبر من رؤوس السهام قيل أنها محليه، وبعمل إحصائية لعدد السهام يتضح أن ما قيل عن الليبيين عدده ٣٢ بينما النوع المحلي ٣٩ سهما، بمعنى ان عدد السهام المحلية أكثر من النوع الليبي، مع مراعاة أن ذلك النوع من السهام المجنحة كان كثير الانتشار في أرجاء وادي النيل منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث عثر على نماذج لها في الفيوم والبداري وحضارة الخرطوم، وبذلك لا يمكن الأخذ بدليل السهام كدليل يؤكد الرأي القائل بالأصل الليبي للأسرة النبتاوية(٢)، مع احتمالية تسلل الشكل الليبي للسهام بطريقة من الطرق المختلفة عبر الصحراء(٣).

وعند العودة إلى لقب الملكة "تاببرى" الخاص بالملكة العظيمة للطمياح "التمحو"، يلاحظ أن قراءة ريزنر للقب بعيدة عن الصواب،

---

(١) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ١٠٧.
وكذا: Dunham, D., op. Cit., pp. 87-90.

(٢) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٣) Dixon, D., The Origin of the Kingdom of Kush, Napata-Meroe, JEA, 50, 1964, p. 126.

والصحيح أن تكون القراءة "خاستيو" ومعناها البلاد الأجنبية، وبذلك يكـون اللقب الصحيح للملكة "تابيرى":

سيدة أو كبيرة البلاد الأجنبية[1] (انظر لوحة الملكة تابيرى زوجـة الملك "بعنخي")

كذلك لم تصمد الآراء القائلة بحب الملك بعنخي للخيول كما ورد في نص لوحة النصر الخاصة به وهو ما يتفق مع حب الليبيين للخيول حيث لم نعثر على جبانات مستقلة لدفن الخيول في بلاد النوبة، قبل أو بعد الأسـرة الخامسة والعشرين، كذلك لا يمكن كما يرى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر أن نأخذ بذلك التشابه النادر الحدوث في كتابه نهاية اسم الملك الليبـي شيشنق وبين نهاية اسم الملك طهارقا، للبرهنه على أن الأسـماء المرويـة الخاصة بملوك نباتا من أصل ليبي. كذلك من القرائن التاريخية التى تنفـي الأصل الليبي لتلك الأسرة رفض الملك "بغنخى" دخول ملوك الأسرات التى يقال عنها أنها من الأسرات الليبية، عليه لأن غير طاهرين وأنهم من آكلـي لحوم السمك[2].

ثم نأتي إلى الافتراض الثالث الذي ينادى بأن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين هي أسرة محلية، لها علاقات وثيقة بمصر على العصور، وكـان الدور العسكري وأحيانا الدور الإداري الذي يلعبه السودانيين، أقـوى ممـا كان عليه في أي وقت مضى، ووصل قمته حين سيطرت الأسرة الأثيوبيـة

---

(١) Ibid., p. 127.

وكذا: محمد إبراهيم بكر، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٢) محمد إبراهيم بكر، المرجع السابق، ص ١١٠

وكذا: Breasted, J.H., BAR, IV, 882, p. 443.

على مصر، على أن تمصير سكان الوليات العليا لم يؤد إلى تحويلهم إلـــى مصريين، وظلت حضارة متميزة لها شخصيتها، رغـــم اتخاذهـــا صبغـــة مصرية حتى في عهد الأسرة الخامسة والعشرين[1].

وكما يرى "ولتر ايمرى" أن الأسرة الخامســـــة والعشـــرون كـــانت سلطاتها قد توطدت كحكام لكوش قبل أن يحاولوا تأكيد سيادتهم على مصر، حيث كانت الجبانة الكبرى في "كورو" تستقبل موتاهم منـــذ ٨٦٠ ق. م، أي أكثر من مائة سنة قبل أن يقوموا بغـــزو الشـــمال، وأن أســـلاف الأســـرة الخامسة والعشرين يمتون بالصلة إلى جماعة أخذوا بالحضارة المصريـــة، ولو أنهم ينحدرون من أصل كوشي، لعل يرجع إلى مدينة كرما، وتطـــور مقابرهم يحكي قصة ذلك من خلال أدلة أثرية مؤكـــدة[2]. حيـــث أن أقـــدم المقابر تتكون من حفرة تعلوها كومة طينية مستديرة والجثة ترقد بانحنـــاءة على جانبها الأيمن والرأس إلى الشمال، ثم نجد أن الكومة قد كسيت بالحجر ثم تطورت إلى جزء يعلو سطح الأرض مبنى من الحجر ومستطيل الشـــكل وينتهي أخيرا إلى الشكل الهرمي الكوشي بينما أصبحت المقابر أكثر اتقانـــا وأخذت شكلا مصريا، ولكن بعد أن اتبعت الطرق المصرية فـــي الدفـــن، تخلفت معها عادة نوبية واحدة وهى وضع سرير في المقبرة يوضع فوقـــه الميت، وهذه الطريقة كانت منتشرة في النوبة العليا والســـفلي منـــذ أقـــدم العصور، ويلاحظ أن الطبقة الحاكمة في كوش قد أصبحت بصفة عامة منذ

---

(١) عبد الحميد زايد: علاقات مصر بسائر أجزاء أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، المجلـــد٢، مجلة اليونسكو إشراف أ.د. جمال مختار، ١٩٨٥، ص ١٣٦.

(٢) وولتر ايمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢١٧.

عهد "كاشتا" والد بعنخى مصرية الفن والعمارة والثقافة وقد قام "كاشتا" قبل موته بغزو مصر، ونجح في ضم طيبة وجزء من صعيد مصر ببلوغه أسوان إلى مملكة "نبته"، كما هو واضح من لوحة مهداة إلى آلهة منطقة الجنادل، عثر عليها في الفنتين، مع احتمالية أن يكون "كاشتا" هو الذي بدأ بإقامة المعبد رقم ٨٠٠ فى حضن جبل البرقل وعاصمة دولته نبته جنوبي الجندل الرابع عند موقع المدينة الحديثة مروى[١].

الملك بعنخي

أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر، واسمه مشتق من الكلمة المصرية عنخ، كما حمل لقب (من- خبر- رع)، كما عرف أيضا باسم "بى" على الكثير من آثاره[٢].

نجح في توحيد مصر وإكمال ما بدأه والده، في الوقت الذي كانت فيه الأسرة المتنافسة في الدلتا تحارب لتوحد مصر، ولكنها عجزت في توحيد الصفوف لمواجهة الكوشيين، حتى أنه عندما اعتلى "بعنخى" العرش كان الجزء الجنوبي للبلاد حتى هراقليوبوليس في الشمال تحت إشراف نباتا إلى حد كبير، في الوقت الذي نجح فيه "تف نخت في توحيد مصر السفلى تحت قيادته، واتخذ لنفسه لقب الفرعون ثم توجه نحو الجنوب وواصل

---

(١) محمد إبراهيم بكر: نفس المرجع السابق، ص ١٣٨.
وكذا: وولتر إيمري: المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٢) Parker, R.A., King Py, A Historical Problem, ZÄs, 93, 1966, p. 121 f.

حتى "هرقليوبوليس " وحاصرها، وكـــان هــذا الحصـــار هــو بدايــة النضال الذي انتـــهى بانتصـــار كــوش وتأســيس الأســرة الخامســة والعشــرين.

لوحة النصر

لوحــة جرانيتيــة تبلــغ أبعادهـــا ١٨٤×١٨٠سـم، وضعـــها بعنخى في معبد بل البرقل، حيث عـــثر عليـــها ســـنة ١٨٦٣، وحاليـــا موجودة بالمتحف المصري بالقـــاهرة، واللوحـــة تكشـــف لنـــا الكثـــير عن النوبـــة القديمـــة[١] وأحـــوال مصـــر السياســـية ومـــدى التفتـــت والتمزق السياسي في البـــلاد.

تسجل اللوحة التاريخ:

".... السنة الواحدة والعشرين لملك مصر العليا والسفلى "مـرى-آمون "بعنخى"[٢] (وهو تاريخ أقامته اللوحة في نباتا)...."

وصف لوحة بعنخى[٣]

نشاهد في الجـــزء الأعلـــى المســـتدير مـــن اللوحـــة قـــرص الشمس يكتنفه صلان ولكنه بدون أجنحة، وفـــي أســـفل نشـــاهد الإلـــه

---

(١) Breasted, J.H., BAR, IV, 864-883, pp. 416-443.

وكذا: PM, VII, p. 217.

(٢) اسم الملك بعنخي مكون من العلامة الهيروغليفية ب+عنخ+ى، وهناك من يـــراه بـــي Pey فقط وليس بيعنخي، على اعتبار أن علامة عنخ هي مجرد إضافة وضعت للتمني بطول العمر كما حدث في بعض الأسماء الملكية الأخرى، انظـــر: محمـــد إبراهيـــم: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٣) سليم حسن: المرجع السابق، ص٩.

"آمون" رب "نباتــا" قــاعدا ونقــش أمامــه: "كــلام" آمــون رع "رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك والقــاطن فــي "جبلــه المقــدس (برقل). وخلف "آمون" تقف الإله "مــوت" و أمــام "آمــون" و "مــوت" يقف الفرعون "بعنخى". ويلاحظ أن صورته قــد كشــطت غــير أنــه يمكن التعرف عليها ويحمل فــي منطقتــه خنجــرا ويرتــدى قميصــا يصل إلى ركبتيه. ونقش أمامه متن يظهر انه كشــط ثــم أعيــد ثانيــة وهو: ملك الوجه القبلي والبحري "ابن رع" "بعنخــى". ويشــاهد أمــام الفرعون امرأة رافعة يدها اليمنى (والظاهر أنه كــانت توجــد صــور أخرى) وكتب أمامها: "الزوجة الملكية" (وهى زوجــة "نمــروت" كمــا سنرى بعد فى المتن ســطر ٦٢/ ٦٣).

ثم يشاهد الملك "نمروت" يحمل على جبينه الصل ويقــود بيــده اليسرى جواداً وفي يده اليمنى يحمــل صناجــة ونقــش فوقــه الملــك "نمروت"[١].

ويشاهد بعده ثلاثة ملوك يحمل كل منهم على جبينه الصل مقبلين الأرض أمام الفرعون وهم:

(١) الملك "أوسر كون". (٢) الملك " أوبوت". (٣) الملك "بف- نف- ددى- باست".

ويرى بعد هؤلاء على الجهة اليسرى أمير لا يحمل الصل ولكــن له ضفيرة شعر جانبية ويقبل الأرض وكتب فوقه اسم مهشم بقــى منــه "…. تتى". وكذلك نشاهد أربعة أمراء بدون أصلال ولكن يحمل كل منهم

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص٩.

ريشة على قمة رأسه وجميعهم يقبلون الأرض أمام الفرعون وأســماؤهم هم:

(١) الأمير "بثنفي". (٢) الأمير "باما". (٣) الرئيس العظيم لقوم م.ى

(٤) الرئيس العظيم لقوم مى "زد آمون اوف عنخ".

والخطاب الذي وجهه هؤلاء الأمراء للفرعون وجد مهشماً ولكــن تبقى منه بعض كلمات جاء فيها: "كن مسروراً يا "حور" رب القصــر... لأصغر ملك."

(١) **التاريخ**: "السنة الواحدة والعشرون الشهر الأول من فصــــل الفيضان (الفصل الأول) في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري "بعنخى محبوب آمون" عاش أبدياً".

مقدمة: "الأمر الذي ينطق به جلالتى: "اسمعوا لما أنجزته اكـثر من الأجداد إنى ملك صورة الاله وتمثال "آتوم الحى"، الذي خــرج مــن بطن (أمه) مزيناً بمثابة حاكم، يخافه العظماء الذين أكبر منــــه، والــذي عرفه والده، ومن فطنت أمه انه سيكون ملكا وهو لا يزال في البيضــــة، الإله الطيب المحبوب من الإله ابن "رع " ومن ينخز بيديه (مــــا يريــد) "بعنخى"، محبوب "آمون"[(١)].

(٢) وصول رسول يحمل أخباراً تنذر بزحف "تفنخت"

"لقد أتى إنسان ليخبر جلالته: "أن الأمير صاحب الأرض الغربية وهو الأمير الوراثي والحاكم العظيم لبلدة "نتر" (المسمى) "تفنخــــت" قــد صار في مقاطعة (يأتي بعد ذلك علامة ترمز للفظة مقاطعة غير أن اسـم

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص٩.

المقاطعة لم يكتب عليها)، وكذلك في مقاطعة "أكسبوس"[1] وفي "حعبـى" وفى "... " (اسم مهشم) وفى "برنب" وفي "منف" ("أنب حـز"=الجدار الأبيذ). وقد استولى على الأرض الغربية قاطبة من أول للمستنقعات حتى "إثتاوى" (=اللشت) وهو يصعد في النيل بجيش جرار، في حين أن البلاد أصبحت موحدة خلفه، والأمراء الوراثيون، حكام المعاقل كانوا كالكلاب (طائعين في عقيبة) ولم يغلق حصن... في مقاطعات الوجه القبلي. فبلدة "مر-توم" (ميدوم) وبلدة "برسخم خبر رع" ومعبد "سيك" (الفيوم) و "برمزد) (البهنسا) وبلدة "تكناش" (دقناش بالقرب من غربي "ببا") وكل بلدة في الغرب قد فتحت له أبوابها خوفاً منه (أي سلمت دون قيد ولا شرط). وقد عاد إلى مقاطعات الشرق ففتحت أبوابها له أيضا: "حت نبو" و "نايوزاى" و "حت نسوت" و "أطفيح" تأمل ... لقد حاصر "إهناسيا المدينة، وأحاط بها تماما (جعل من نفسه كذيل في فم) فلم يجعل الخارجين يخرجون، ولم يجعل الداخلين يدخلون لاستمرار الحرب يومياً. وذرع الأرض حولها كلها (أي كان يلف حولها ماشيا) وكل أمير عرف حصنه، وجعل كل رجل من الأمراء والحكام في قسمه (لمحاصرته)".

"وقد أصغى (جلالته إلى الرسول) بقلب كبير، وكان ضاحكاً وقلبه منشرحاً".

"وأرسل هؤلاء الكبراء والأمراء والقائد الذين كانوا في مدنهم يومياً قائلين: "هل صمت متجاهلاً أرض الجنوب التابعة لمقر الملك؟ في حين أن "تفنخت" يستولى عليها ولا يجد أحداً يصد ساعده.

---

(١) المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه البحري (سخا الحالية).

انضمام "نمروت" ملك "الأشمونين" على "تفنخت"

"نمروت" حاكم "حت ورت" وصدع جدران "نفروسى" وهدم لـــه مدينته خوفا من الاستيلاء عليها لنفسه، لأجل أن يحاصر مدينة أخرى".

تأمل لقد ذهب ليكون واحداً من أتباعه وبذلك ترك ولاءه لجلالتــه (أي خان "بعنخي") وقد وقف معه بمثابة واحد (من أتباع) في مقاطعـــة "البهنسا" وقد أعطاه (يقصد "تفنخت") هدايا كما يرغب فيها قلبه من كــل شيء وجده".

الملك يأمر جنوده الذين في مصر بالانقضاض على مقاطعة "الأشمونين":

وبعد ذلك أرسل جلالته إلـــى الأمـــراء وقـــواد الجيـــش الذيـــن كانوا في مصر: القـــائد "بـــاورامع" والقـــائد "لمرســـكنى" وكـــل قـــائد لجلالته كان في مصر قائلاً: سارعوا إلـــى صفـــوف القتـــال وحـــاربوا في المعركة وحاصروا... اقبضـــــوا علـــى أهلـــها وماشـــيتها وســـفنها التى على النهر، ولا تجعلـــوا الفلاحيـــن يخرجـــون إلـــى الحقـــول ولا تدعوا الحراثين يحرثون الأرض وحاصروا حـــدود مقاطعـــة الأرنـــب وحاربوها يومياً وقد فعلوا ذلـــك.

بعنخي يرسل جيشه وتعليماته للقتال

وبعد ذلك أرسل جلالته جيشاً إلى مصر مكلفا قواده بشدة قائلا:

"لا تهاجموا العدو أثناء الليل ولكن حاربوهم عندمـــا يمكـــن رؤيتـــهم واطلب خوض المعركـــة من بعيد وإذا طلبك فانتظر مشـــاة وفرســـان مدينة

أخرى. وابق ساكناً لا تتحرك حتى تأتي جنوده وحاربه فقط عندما يطلب إليك الحرب، وفضلا عن ذلك إذا كان له خلفاء في مدينة أخرى فاعمل على انتظارهم أما أمثال الأمراء الذين يمكن إن يتخذهم لمساعدته أو أي جنود نوبيين ممن يوثق لهم فأمر بمنازلتهم مقدما قائلا: وأنت- لأننا لا نعرف من نخاطب عند تنظيم الجيش- شد على احسن جواد في الإسطبل وصف الجنود في المعركة ولابد أن تعلم أن "آمون" هو الإله الذي أرسلنا".

التعليمات للزحف على طيبه

وعندما تصلون إلى طيبة" قبالة "الكرنك" انزلوا الماء وطهروا أنفسكم في النهر وطهروا أنفسكم في ملابس كتان نظيفة وشلوا القوس وارموا السهم ولا تفخروا بأنكم أرباب القوة لأنه بدونه لا يكون لشجاع قوة، إذ يجعل القوي ضعيفا وبذلك تفر الكثرة أمام القلة وأن رجلا واحدا يستولي على ألف رجل. اغسلوا أنفسكم بماء قربانه وقبلوا الأرض أمام محياة وقولوا له:- امنحنا سواء السبيل حتى يمكننا أن نحارب تحت ظل سيفك القوى، أما الشبان الذين أرسلتهم فسيكون النصر لهم وسيروع الكثيرون منهم.

الجيش يثني على نصائح الملك وقوته

وعندئذ استلقوا على بطونهم أمام جلالته قائلين: "إن اسمك هو الذي يمنحنا القوة ونصيحتك هي مرسى جيشك، وخبزك في بطوننا في كل سبيل (سلكناه) وجعلتك تطفئ ظمأنا، وبطولتك تعطينا القوة، والبطش

في تذكر اسمك، لأنه لا يتغلب جيش يكون قائدة مخنث، فمن مثيلك فيه؟ (أي في الجيش) فأنت ملك مظفر يعمل بساعديه وأنت المشرف على شئون الحروب".

الجيش يتقدم نحو "طيبة"

ثم ساحوا منحدرين في النهر (إلى) أن وصلوا إلى طيبة وعملوا وفق كل ما قاله جلالته".

ثم ساحوا منحدرين في النهر ورأوا سفنا عدة مصعدة في النهر محملة بالجنود والبحارة وضباط عديدين، وكل رجل شجاع من الوجه البحري كان مجهزا بأسلحة الحرب ليحارب جيش جلالته. وقد وقعت مذبحة عظيمة بينهم وكان عددهم لا يحصى. وقد استولى على جنودهم وسفنهم وأحضروا أسرى أحياء إلى حيث مكان جلالته (أي إلى "نباتا").

الزحف على "أهناسيا المدينة" والواقعة التي وقعت في هذه المدينة

ثم زحفوا نحو مشارف "إهناسيا المدينة طلبا للحرب.

وقد تجمع كل أمير وحكام المدن المسورة في الغرب وفى الشرق وفى الأقاليم التى في الوسط بقلب واحد متحدين بوصفهم أتباعا لرئيس الغرب العظيم حاكم المدن المسورة للأرض الشمالية (الذي يلقب) كاهن الآلهة "نيت" صاحبة "سايس" والكاهن الأعظم "سم" للإله "بتاح" المسمى "تفنخت".

"فخرجوا إليهم (لملاقاتهم) وأوقعوا مذبحة عظيمة بينهم أعظم من أية موقعة (شئ) واستولوا على سفنهم التى كانت في النهر".

العدو يفر إلى بلدة "بربج" ويتبعهم الكوشيون في المدينة:

وعندئذ عبرت بقيتهم (فلولهم) النهر ورسوا على الشاطئ الأيمن بجوار "بربج" وعندما أضاءت الأرض في الصباح المبكر عبر جيش جلالته نحوهم والنجم الجيش بالجيش (الآخر) فقتلوا خلقا كثيرين منهم وخيلا لا يحصى عددها ووقعت الهزيمة بين الفلول (بقية الجيش المهزوم).

"وفروا نحو الأرض الشمالية بسبب الضربة القوية المؤلمة أكثر من أي شئ (أي من أي ضربة أخرى).

قائمة بالمذبحة التى وقعت بينهم: "أناس": (ترك الكاتب هنا مكان العدد لون أن ينقش).. رجال.

نجاة "نمروت" وهزيمة جيشه في "الأشمونين":

"وهرب "نمروت" مصعدا في النيل نحو الجنوب عندما قيل له: "أن "الأشمونين " في وسط الأعداء، وهو جيش جلالته الذي استولى على أهلها وماشيتها، وبعد ذلك دخل "الأشمونين" في حين كان جيش جلالته على النهر في ميناء مقاطعة "الأرنب" (اى العاصمة). وبعد ذلك سمعوا بذلك فحاصروا مقاطعة "الأرنب" من جوانبها الأربعة ولم يسمحوا للخارجين أن يخرجوا ولا للداخلين أن يدخلوا".

"وأرسلوا تقريرا لجلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري ("حبوب آمون" "بعنخى") معطى الحياة عن كل موقعة حاربوها وعن كل انتصار لجلالته".

"وعندئذ غضب جلالته من أجل ذلك وقال وكأنه الفهد: هل سمحوا لفلول من جيش الشمال ان تبقى وسمحوا لمن خرج منهم أن يخرج لأجل أن يتحدث عن غزوته؟ ولم يعملوا على موتهم حتى يفنوا عن آخرهم. وإني أقسم بحب "رع" لي وبحظوة "آمون" لي أني سأذهب بنفسي شمالا حتى أقضي على الذي عمله وحتى أجعله يولى الأدبار من الحرب أبدياً".

"والآن فيما بعد عندما احتفل بشعائر السنة الجديدة سأقدم القربان لوالدي "آمون " (في نباتا") في عيده الجميل عندما يظهر بطلعته الجميلة لسنة الجديدة حتى يجعلني اخرج في سلام لأرى "آمون" (صاحب طيبة) في عيد "أبت" (الأقصر) الجميل. وحتى يمكنني أن أحضره في صورته في موكب "الأقصر" في عيده الجميل (المسمى) "ليلة عيد أبت" في العبد (المسمى) "البقاء في طيبة، وهو الذي عمله له "رع" في البداية، ولأجل أن أتمكن من أن أحضره في موكب إلى بيته قاعدا على عرشه كما هي الحال في يوم إدخال الإله في الشهر الثالث من الفصل الأول، اليوم الثاني ولأجل أن أتمكن من جعل الأرض الشمالية تذوق طعم أصابعي" (في الحرب).

وبعد ذلك سمع الجيش الذي كان هناك في مصر بغضب جلالته منهم. وعلى ذلك حاربوا "برمزد" (البهنسا" التابعة لمقاطعة "البهنسا" فاستولوا عليها كأنهم طوفان من الماء وأرسلوا لجلالته غير أن قلبه لم يكن راضيا بذلك.

وبعد ذلك حاربوا "طهنة" عظيمة الانتصار وقد وجدوهـــا مملـــوءة بالجنود من كل رجل شجاع من أرض الشمال وبعد ذلك استعملوا المنجنيـق فى قذفها فهدميت جدرانها ووقعت مذبحة عظيمة بينهم لا يحصى عدد قتلاها ومنهم ابن رئيس مى "تفنخت" ثم أرسلوا لجلالته بشأنها غير أن قلبه لم يكن راضيا بذلك".

ثم قاموا لمحاربة "حت نبو" فتثبتوا داخلها ودخلها جيش جلالته ثـــم أرسلوا إلى جلالته ولكن قلبه لم يكن راضيا بذلك.

في الشهر الأول من الفصل الأول اليوم التاسع ذهب جلالته شـــمالا إلى طيبة وأتم عيد "آمون" في "أبت" (الأقصر) وساح جلالته شمالا إلى بلدة مقاطعة "الأرنَب" (الأشمونين) وخرج جلالته من حجرة الســـفينة وكـــانت الخيل مجهزة وامتطى العربة وساد الرعب من جلالته إلـــى نهايـــة بـــلاد الأسيويين، وكان كل قلب مثقلا بالخوف منه.

ثم خرج جلالته ليوبخ جنوده ثائرا عليهم كالفهد قائلا: هل ثباتكم في الحرب معناه التراخي مما أمر به؟ هل بلغ العام نهايته عندما نفذ الخـــوف ، الأرض الشمالية؟ إنهم سيضربون ضربة عظيمة مؤلمة.

وقد أقام لنفسه معسكرا فـــي الجنـــوب الغربـــي مـــن الأشـــمونين يوميا. وقد أقيم جسر ليحيط بالجدار، وأقيم برج لـــيرفع الرمـــاة مون بسهامهم والضاربين بالمقلاع عندما يرمون بالحجارة وكـــانوا الناس من بينهم يوميا".

وقد مرت الأيام ورائحة "الأشمونين" نتنة في الأنوف بعد عبيرهـــا الحلو، وبعد ذلك انبطحت الأشمونين على بطنها طالبة العفـــو أمـــام ملـــك الوجه البحري. وقد خرج الرسل ونزلوا حاملين كل شئ جميل المنظر مـــن

ذهب وكل حجر فاخر وملابس في صندوق والتاج الذي كان على رأسه "نمروت" والصل الذي كان يبعث الخوف منه، دون انقطاع لمدة عدة أيام طالبين العفو بتاجه (أي بأن ينزل عن تاجه على ما يظهر).

الملكة زوج "نمروت" تتوسط في الأمر

ثم قاموا وأرسلوا زوجة (أي زوج الملك "نمروت ") وابنة الملك المسماة "نستنت" تطلبان العفو من أزواج الملك وحظيات الملك وبنات الملك وأخوات الملك. ولتنبطح على بطنها (يقصد زوج الملك نمروت) في الحريم أمام زوجات الملك قائلة إننا نأتي إليكن يا زوجات الملك وبنات الملك ويا اخوات الملك لتهدئن حور"رب القصر صاحب القوة الكبيرة والنصر العظيم ليته يمنحنا... تأمل أنه.. تأمل.. (...) تكلمن إليه ليلين للذي يمجده.. (الأسطر من "٣٦ حتى السطر التاسع والأربعين محيت تقريبا) ووجدت خمس قطع من هذه اللوحة بعد الكشف عنها عثر عليها الدكتور ريزنر في نفس المكان الذي كانت فيه اللوحة في جبل برقل وقد حاول لوكيانوف أن يحدد مكانها ويعطي مضمون ترجمتها فالقطعة رقم ٤٧٠٨٧ لا يمكن وضعها إلا على الوجه الأيسر من اللوحة بين الأسطر من ٣٥ إلى ٥٠ ومن معنى سياق الكلام يمكن وضع هذه القطعة في الأسطر ٤١، ٤٢، ٤٣، إذ كل سطر من هذه القطعة مكمل للأسطر المقابلة فى اللوحة.

ومتن هذه الأسطر هو تكملة لتضرع الملكة تستنمحونت إلى أزواج أخوات الملك بعنخى (انظر الممطر ٣٤) لأجل أن يصفح عن الملك نمروت. ومن متن هذه القطعة ومتن اللوحه نشاهد ان زوجات الملك وأخواته قد إنبطحن على الأرض إمام الملك بعنخى (السطر ٤٢)، و؟أن

الزوجات المليكات تضر عن للملك طالبات إليه العفو عن "نمـروت" ملـك "حت ورت" (السطر ٤٣). ولابد انه كان في الجزء الناقص تسلم مـا ورده "نمروت" ثم أتى الأخير بنفسه للملك.

"بعنخي" يخاطب "نمروت"

انظر ! من قادك لا من قادك؟ من قادك إذا؟ من قادك.. لقد تركـت سبيل الحياة. هل السماء تمطر سهاما (؟) أني... (مرتاح) عندمـا يخضـع أهل الجنوب، وأهل الشمال (يقولون): ضعنا في ظلك. تأمل أنه مـؤذ (...) حاملا طعامه، وان القلب دفة سفينته؛ تقلب صاحبها بما هو مـن قـوة الله. وانه يرى اللهيب كأنه برودة في القلب (أي أن اللهيب يظهر له كأنه بـرودة في القلب لأن القلب نفسه حار؟) ... لا يوجد مسن (....) والمقاطعات ملأى بالشباب ".

جواب "نمروت" لبعنخي":

"فانبطح على الأرض أمام جلالته (قائلاً): كن (هادئا) ياحور يـارب القصر أن قوتك هي التى فعلتها وإني واحد من عبيد الملك أدفـع الجزيـة للخزانة.. جزيتهم ولقد أحضرت لك اكثر منهم".

وعلى ذلك أهدى كثيرا من الفضة والذهب والـلازورد والفـيروز والبرونز وكل الأحجار الثمينة فملأ الخزينة بهذه الجزية، وأحضر جـوادا في يده اليمنى وصناجة في يده اليسرى من الذهب واللازورد".

وبعد ذلك ظهر جلالته فى قصره ومن ثم سار إلى بيـت "تحـوت" رب "الأشمونين " وذبح ثيرانا وعجولا وطيـورا لوالـده رب "الأشـمونين ولثمانية الآلهة في بيت الثامون (أي ثمانية الآلهة). وقد ارتفع صباح جيـش

مقاطعة "الأرنب" وفرحوا قائلين: ما أجمل حور ثاو في مدينتـه ابـن "رع" "بعنخى"! أقم لنا عيدا ثلاثيا لأنك قد حميت مقاطعة "الأرنب".

ثم سار جلالته إلى بيت "نمروت" ودخل كل حجرة في بيت الملـك وبيت ماله ومخازنه وأمر بأن تحضر (٦٣) له زوجات الملك وبنات الملك وصافحهن جلالته على طريقة النساء ولكن جلالته لم يدر وجهه لـهن (أي كان متعففا).

بعنخي يزور حظيرة خيل "نمروت" وينتقد تجويعها وهزلها

ثم سار جلالته إلى حظيرة الخيل وحظائر المهارى وعندما رأى

أنها قد تألمت من الجوع قال أقسم بحب "رع" لي وبقدر ما تنتعـش أنفى بالحياة انه لأكثر إيلاما لقلبي أن تكون جيادي قد تألمت جوعا أكثر من تألمي لأي عمل مسيء قد عملته في تنفيذ غرضك. لقد شهد عليك لي خوف رفاقك عليك ألم تعلم أن ظل الله فوقي؟ وأن حظي لن يولى بسببه؟ فلو كـان آخر عمل ذلك معي فإنه لم يكن يسعني إلا أن أدينه من أجل ذلك. وعندمـا كنت أصور في الفرج وأكون في البيضة المقدسة فإن بذرة الإله كانت فـي. وأقسم بحضرته أني لا أعمل شيئاً بدونه فإنه هو الذي يأمرني بفعله".

وبعد ذلك أعطيت أملاكه الخزانة ومخازن غلاله القربان المقدس الخاص بآمون في الكرنك".

وأتى حاكم "هيراكليوبوليس" (أهناسيا المدينة)" بفنفند ديباست" يحمل جزية للقصر: من ذهب وفضة وكل حجر ثمين وجياد من خيرة مـا فـي الإسطبل فاستلقى على بطنه أمام جلالته وقال: مرحباً بك يا حور أيها الملك

القوي يا أيها الثور مخضع الثيران إن العالم السفلي قد قبض على وقد غمرت في الظلام الذي سطع عليه النور الآن. وإني لم أجد صديقا في يوم البؤس كان ثابتا في يوم الواقعة، ولكن أنت أيها الملك الجبار لقد بددت الظلام عني. وإني أكدح مع رعاياك وستدفع "إهناسيا المدينة" ضرائب لخزانتك أنت يا صورة "حور أختي" والمهيمن على النجوم الثابتة فكما كان فأنت كذلك ملك وكما أنه لا يفنى فإنك لن تفنى يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري "بعنخي" العائش أبدياً".

الملك ينحدر في النهر نحو بلدة "برسخم خبر رع" ويأمرها بالتسليم:

وانحدر جلالته في النهر نحو فتحة القناة (بحر يوسف الحالي) بجوار "اللاهون " فوجد أن جدران "برسخم خبر رع" متهدمة وحصنها مغلق، ومملوءة بكل رجل شجاع من الأرض الشمالية. وعندئذ أرسل جلالته لهم قائلا: أنتم يا من تعيشون في الموت! أنتم يا من تعيشون في الموت! أنتم أيها النكرات والتعساء! أنتم يا من تعيشون في الموت! إذا مرت ساعة دون أن تفتحوا لي تأملوا أنكم ستكونون في تعداد الساقطين، وهذا مؤلم للملك، فلا تغلقوا أبواب حياتكم لأجل أن تحضروا على مقصلة هذا اليوم، فلا ترغبوا في الموت ولا تكرهوا الحياة (...) ... (...) أمام كل الأرض ".

استسلام ميدوم

وانحدر جلالته شمالا، وقد وجد "ميدوم" دار "سكر" رب "سحز" قد أغلقت وكانت ممتنعة. ونشب القتال في قلبها. أخذا.. فاستولى عليها الخوف. وختم الفزع فمهم. وعندئذ أرسل جلالته لهم قائلا: تأملوا إن أمامكم طريقين فاختاروا أنتم كما ترغبون: افتحوا فتعيشوا، أغلقوا فتموتوا.

أن جلالتي لن يمر في باب مغلق وعندئذ فتحوا في الحال فدخل جلالته في داخل هذه المدينة وقدم قربانا... إلى منحيت صاحب "سخر" وقد أهدى بيت ماله إلى بيت المال، ومخازن غلاله للقربان المقدسة "لآمون" صاحب الكرنك".

"ثم انحدر جلالته شمالا إلى "اللشت" فوجد السور مغلقا والجدران ملأى بالجنود من أرض الشمال الشجعان وبعد ذلك فتحوا الحصن وانبطحوا على بطونهم أمام جلالته قائلين: ان والدك قد قرر لك إرثه فالأرضان ملكك وما فيها ملك وكل ما على الأرض ملكك. ودخل جلالته ليجعل قربانا عظيما يقدم للآلهة القاطنين في هذه المدينة من ثيران "أوا" وثيزان "ونز" ودجاج وكل شئ طيب طاهر، وبعد ذلك أعطيت ماليتها الخزانة، ومخازن الغلال صارت قربانا للضيعة المقدسة لوالده "آمون رع".

"(انحدر بعد ذلك جلالته في النهر) إلى "منف". وقد أرسل إليها (أي إلى أهلها) قائلا: لا تغلقي (الأبواب) ولا تحاربي أنت يا مأوى الإله "شو" (يخاطب المدينة) في الأزلية، وان الذي يريد أن يدخل دعوه يدخل وان الذي يريد أن يخرج دعوه يخرج. ولا تمنعوا من يريد أن يغادر (المدينة).

وسأقدم قربانا للإله "بتاح" ولكل الآلهة الذين في "الجدار الأبيض" (منف)، وإني سأضحى للإله "سكر" في المكان السرى، وسأشاهد الذي في جنوبى جداره (يقصد الاله "بتاح ") إلى أن انحدر شمالا في النهر في أمان..

وان أهل الجدار الأبيض (منف) سيكونون سالمين معافين، ولن يبكى أحد حتى الأطفال. انظروا أنفي إلى مقاطعات الجنوب فإنه لم يذبح واحدا. منهم إلا الأعداء الذين لعنوا الإله وهم الذين قطعت رؤوسهم على المقصلة بوصفهم ثائرين. غير أنهم- (الأهالي) أوصلوا معاقلهم وأرسلوا جيشا على فئة من جنود جلالته، من الصناع والمشرفين على المباني، والنواتى... ميناء "منف".

"تفنخت" يدخل "منف" ليلاً ويحمس جنوده ويعود إلى الدلتا:

تأمل فإن أمير "سايس" هذا (يقصد "نفنخت") قد وصل إلى الجدار الأبيض ليلاً محمساً مشاته وبحارته وجميع خيرة جيشه وعددهم ثمانية آلاف رجل حاثا إياهم بحماس عظيم. تأملوا 'ن "منف" قد اكتظت بالجنود من خيرة ما في الأرض الشمالية، ومخازنها تفيض بالشعير والبر وبكل أنواع الأسلحة... (وأنها محصنة) بجدار وقد أقيمت شرفة عظيمة صنعت بمهارة والنهر يجري حول جانبها الشرقي، وليس هناك فرصة للهجوم (أي من الشرق) ويوجد فيها حظائر للماشية مملوءة بالثيران والخزانة مجهزة بكل شيء من فضة وذهب ونحاس وملابس وبخور وشهد وزيت".

"وسأذهب وأعطي شيئاً لرؤساء الشمال وسأفتح مقاطعاتهم وسأكون... (وسأقضي أياماً قليلة) إلى أن أعود، وامتطى جواداً ولم يطلب عربته وسار شمالاً خوفاً من جلالته" (أيمن "بعنخى").

"بعنخى" يذهب إلى "منف"

"وعندما انفلق الصباح في النهار المبكر كان جلالته قد وصل إلى الجدار الأبيض وارسى سفينته في شمالها، وكان قد وجد أن الماء قد اقترب من الجدران وأصبحت السفن ترسو عند (جدران) "منسف" وعندئذ رأى جلالته أنها كانت قوية وأن السور قد رفع بوساطة بناء جديد (عليه)، وشرفات يحميها رجال حرب أشداء ولم تكن هناك طريقة لمهاجمتها".

وقد أبدى واحد رأيه من رجال جيش جلالته على حسب قواعد الحرب فقال كل رجل: دعنا نحاصرها... تأمل ان جنودها عديدون (حتى لا يمكن مهاجمتها) وقال آخرون فلنقم طريقا (يوصل) إليها ولنرفع التربة حتى جدرانها. دعنا نقم برجا (يوصل إليها) ونصنع من العمد الخشبية قنطرة إليها (وبهذا) التصميم نقسمها من كل جانب من جوانبها على الأرض العالية.. من شمالها لأجل أن ترفع الأرض عند جدرانها حتى نجد طريقا لأقدامنا".

وعندئذ استولى الغضب على جلالته كالفهد وقال: إني أقسم بحب "رع" لي وبحظوة والدي "آمون" الذي برأني أن ذلك لابد أن يحدث لها على حسب أمر "آمون" وهذا ما سيقوله الناس: (ان الأرض الشمالية) ومقاطعات الجنوب قد فحت له (أبوابها) من بعيد، لأنها لم تضع "آمون" في قلوبها، ولم تعرف ما الذي أمر به فانه (أي "آمون") قد جعل "بعنخى" يظهر شهرته كما

جعل هيبته ترى، ولى سأستولى عليها (أى المدينة) بوصفي فيضان المـــاء وقد أمرت.

"وبعد ذلك أمر بإرسال أسطوله وجيشه لمهاجمة ميناء "منف" وقـــد أحضروا له كل معبر وكل سفينة شحن وكل سفينة نقل وكل سفينة بقدر مـا كان يوجد وأرسيت في ميناء "منف" وربطت حبال مقدمتها بين بيوتــها (أي بيوت المدينة)... ولم يوجد واحد بكى بين كل جنود جلالته (المقصود هنـا على ما يظن أنه لم يصب واحد منهم بسوء)".

"وقد أتى جلالته ليرتب السفن بقدر ما كان هناك منها. وأمر جلالته جيشه قائلا: إلى الأمام عليها (أى على المدينة) تسلقوا الجــدران اقتحمـوا البيوت التى على النهر (أى التى على ضفة النهر) وإذا وصل أحدكم إلـــى أعلى الجدار فلا يقف أمامه حتى لا يردك ان الجنود (المعادون)، وأنه لأمر حقير (بالنسبة لنا) أن نوصد الجنوب ثم ينبغي علينا أن نرسو في الشـــمال ونضع الحصار في ميزاني الأرضين"

"وبعد ذلك استولى على "منف" ("من نفر") كأنها أخذت بفيضان ماء، وقد قتل فيها جم غفير من الناس وأحضر أسرى أحياء إلى المكان الذي كان فيه جلالته أيضا"[١].

"والآن عندما أضاء الصبح وطلع النهار الثاني أرسل جلالته أناســا لها لحماية معابد الإله "آمون" ومحراب الآلهة وقدم القربان لمجلــس آلهــة مدينة "حتكبتاح "(منف)، ونظفوا "منف" بالنطرون والبخور وأقاموا الكهنــة

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٦؛

-سقوط منف واعتراف "تف نخت" بهزيمته، انظر:

Kitchen, K., op. Cit., p. 365.

في أماكنهم. ثم سار جلالته إلى بيت "بتاح" وأديت شعيرة تطهيره في حجرة الصباح وكل تقليد كان يعمل للملك أجرى له، ودخل المعبد وقدم قربانا عظيما لوالده "بتاح" القاطن جنوبي جداره، (ويتألف) من ثيران وعجول ودواجن وكل شئ طيب، ثم سار جلالته إلى بيته".

"وبعد ذلك لما سمع بهذا (اى الاستيلاء على "منف") فإن كل المراكز التى كانت في إقليم "منف".

"وقد حضر الملك "أوبوت " ورئيس "مى" المسمى "أكانشو" والأمير الوراثي "بدى أزيس" وكل أمراء الأرض الشمالية حاملين جزيتهم ليروا بهاء جلالته".

"وبعد ذلك أعطيت خزائن "منف" ومخازنها قربانا مقدسة "لآمون" و"بتاح" وتاسوع الآلهة القاطنين فى "حتكبتاح" (منف)".

الملك يزحف على "خرعحا" (مصر العتيقة الحالية):

"وعندما أضاء النهار فى الصباح المبكر سار جلالته شرقا وقرب قرباناً "لآتوم " صاحب "خرعحا" وللتاسوع المقدس وكهف الآلهة القاطنين فيه، وتحتوى على ثيران وعجول ودواجن يمنحوا الحياة والفلاح الصحة ملك الوجه القبلي والوجه البحري "بعنخى" العائش أبدياً"[٢].

وهكذا ومن خلال النص يتضح أن المعركة النهائية بين قوات بعنخي وقوات تفنخت، قد دارت عند مدينة منف المحصنة بجدار قوى وخيرة جنود الشمال، وصوامع تحوى مواد غذائية تمكنها من مقاومة أى

---

(٢) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٧.

حصار لفترات طويلة، ومخازن مزودة بكل شئ فضة وذهب ونحاس وملابس وبخور وعسل وزيت.

ومع كل هذه الاستعدادات فلقد قرر بعنخى اقتحام المدينة، ولجأ إلى فكرة استخدام السفن والصواري والعوارض كجسور توصل إلى أعلى جدران مدينة منف، وفعلا نجح في دخول المدينة التى وصفها بقوله:

"..... ثم أخذت منف كما لو كان فيضان قد أغرقها وقتل عدد كبير من الناس، وأسر عدد آخر ثم أخذهم إلى حيث كان جلالته يقيم..."

وعندما وصلت أخبار سقوط المدينة إلى المناطق المجاورة، فتحوا أبواب مدنهم وهر حكامهم، وتوجه "بعنخى" إلى معبد إله الشمس رع واعترف به كملك، في الوقت الذي فشلت فيه جهود "تف نخت" في المقاومة، فأعلن الاستسلام من إحدى جزر الدلتا وبعث برسول طالبا من بعنخى أن يرسل إليه نائبه ليشهد يمين الطاعة والولاء للملك الظافر، وقبل بعنخى التماس الرحمة وبعث برئيس الكهنة "بدى آمون - نستاوى" وقائد الجيش ليشهدا يمين للطاعة من العدو الشمالي، الذي لم يوصف طوال النص بأنه مصري أمام الملك الشرعي بعنخى الذي بجب ألا يعتبر انتصاره غزو أنوبيا بل رغبة صادقة فى إعادة تصحيح الأمور في المناطق الشمالية من البلاد، مع مراعاة أن جيش بعنخى كان يحوى أيضا مصريين عديدين(٣).

وقد احسن الملك الجديد "بعنخى" استخدام العامل النفسي وتقربه إلى المصريين فهو حريص على الجانب الديني وتوقير آمون، والاهتمام

---

(٣) وولتر ايمري: المرجع السابق، ص ٢٢٦.

وكذا: White, M., op. cit., pp. 188-189.

بالمعابد المختلفة وحسن معاملة الخيول المصرية والترفق بها، وعدم "إظهار الشدة في معاملة خصومه حيث عفا عن "تف نخت" وجعلـه أميرا علـى سايس، كما سايس مع ابنه بعد إحدى المعارك في اللاهـون، مـع تـرك الأمراء المحليين في مناصبهم(٤).

وفى خطوة غير مفهومة عن بعنخى عاد بعد ذلك الانتصـار إلـى "نباتا" ليقيم هناك، وشيد هناك معبد للإله آمون زينه بالغنائم التى أخذها من الشمال، أما في مصر فلم يشكل إدارة مركزية تتولى شـئون البـلاد بعـد رحيله، مما هيئ الفرصة لـ "تف نخت" أن يتراجع عن استسلامه ويحنـث في قسمه ويسترجع نفوذه وخاصة على جزء كبير من الدلتا، التى خلفه ابنه (باكن- نف) "باك- ان- رنف" سنة ٧٢٠ ق. م.، في الوقت الذي نجح فيـه أمراء العائلة البوبسطية أوسركون الثالث وتكلوت الثالث " فـي اسـترجاع نفوذهما في خيبة حتى عاد النوبيون بقيادة "شباكو" شقيق بعنخى الذي خلفـه سنة ٧٠٧ ق. م، وهو الذي قبض علـى "بـاكن رنـف" أو (بوخوريـس) والأخير وصفه ديودور بأنه من المشـرعين المصريين البـارعين فـى المعاملات الخاصة وعنة نقل الإغريق الكثير من القوانين- ويقول "مانيتون" أن شباكو قبض على باكن رنف ابن تف نخت وأحرقه حيا، ونقل عاصمتـه من نباتا إلى طيبة ووحد وادي النيل تحت قيادته(٥).

---

(٤) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، ج١، القـاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٩٠.

(٥) وولتر أمري: المرجع السابق، ص ٢٢٦.

خلفاء بعنخي:

توفى الملك بعنخي بعد حكم استمر ٣١ عاما حوالي (٧٤٧- ٧١٦ ق. م) وتولى العرش بعده ابنه شاباكا Shabaka (نفركـــارع) ٧١٦-٧٠١ ق. م، وتبعا للمؤرخ المصري مانيثو فقد قبض على بوخوريس (باكن رنف) أســـيراً وأحرقه حيا، وهى رواية لم تتأكد لنا، حيث أن عادة حرق الأسرى لم تكن من العادات المصرية القديمة، وقد جعل شاباكا من طيبة عاصمـــة لـــه، وكعـــادة أسلافه من قبل اهتم بالمعابد المختلفة في مصر[١]، كما دونّ مقاييس للنيل فـــي مرسى الكرنك، وله عدة آثار في مصر وبلاد النوبة، ففي طيبة عمل بعـــض الترميمات في البوابة الرابعة بالكرنك التي وجدها تحتاج إلى ترميم وخاصـــة على الجانب الشمالي منها، وعثر له على خاتم مـــن الـــبرونز فـــي متحـــف الخرطوم نقش عليه طغراءه، وكذلك عثر له على جعران من حجر الاستياتيت محفوظ أيضاً بمتحف الخرطوم، كما عثر له في الواحة البحرية على أحجـــار تحمل اسم هذا الملك[٢].

---

(١) White, M., op.cit, p. 191.

(٢) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٧٨.

ذكرت التوراة أن هوشع ملك إسرائيل قد استجد ب سوا ملك مصر، ودار جدل بيـــن المؤرخين بشأن هذا الملك حول أسماء شاباكا باعتباره قائداً لبغنحي، بينما يرى كتشـــن أن اوسركون الرابع باعتبار أن سرا اختصارا لأسمه، ولقرب مملكته في شرق الدلتـــا. مما يجعلها قادرة على تقديم نجدات سريعة، انظر:

Kitchen, K., Egypt and Israel during the first Millennium, B.C., V. Testamentum, 1988, pp. 107-123;

وكذا: آلان جاردنر: مصر الفراعنة، ص ٣٧٣.

شبكتا (شبكتو) خبركاورع ٧٠١- ٦٩٠ ق.م:

هو ابن الملك بعنخي، انضم إليه أخوه طهراقا (تاهرقه) الذي قاد حملة في فلسطين موجهة ضد آشور كما سنوضح فيما بعد، وهناك احتمالية أنه قد أشرك طهراقا معه في الحكم.

ومن الملاحظ أن العلاقات السلمية بين مصر ودولة أشور خلال الفترة الماضية من الأسرة الخامسة والعشرين قد بدأت نحو التبدل، وخاصة بعد أن تولى الملك الآشوري سنخاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) خلفا لوالده سرجون الثاني، فولى جهوده الحربية نحو بابل والمناطق الجنوبية، كما أهتم بالتوسع ناحية الغرب للوصول إلى شرق البحر المتوسط، لذلك كان من الطبيعي أن تتخلى مصر عن سياسة اللامبالاة الخارجية التي اتبعتها من قبل، حيث لم يكن في وسعها إزاء أطماع أشور في سورية وفلسطين أن تبقى بعيداً عن مجال السياسة الخارجية وخاصة أنه بمجرد انتهاء عهد سرجون الثاني حتى انفجرت بلاد الشام فى ثورة للتخلص من الاحتلال الآشوري[1] بمساعدة مصر ولذا يمكن القول أن عهد الملك النبتاوى "شبتكا" هو بداية الصراع الآشوري النبتاوى.

قامت ثورة في الدويلات السورية واتصل الثائر البابلي "مروخ بلادان" بحزقيا حاكم يهوداء، وتكون حلف من عدد من المدن الفلسطينية بمساعدة مصر ضد النفوذ الآشوري، واضطر سنخاريب للتصدي لتلك الثورة وحقق انتصارات على حاكم صيدا الذي هرب إلى جزيرة قبرص، وفرض الجزية على أشدود وبيبلوس وموآب وآدوم، وأسر "صرقيا" حاكم عسقلون وتعرض أهله للقسوة من جانب الآشوريين، مما جعل "حزقيا" حاكم يهودا إلى طلب

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٩٤.

نجدة مصر، التي سارعت لنجدته بسبب توافق ذلك والسياسة المصرية نحو استرجاع مصالحها في سورية وفلسطين[1].

وقد تضاربت الآراء حول ما حدث في تلك المواجهة، بين المصادر الآشورية وروايات التوراة و المؤرخ الإغريقي هيرودت.

فبينما تشير المصادر الآشورية إلى هزيمة مصر والتحالف المصاحب لها في موقعة شهيرة عند التاكو (التكة)[2] ونجاح الملك الآشوري في أخذ أعداءه أحياء إلى بلاده بعد انتهاء المعركة[3].

وبعد تخريب أورشليم انتهى الأمر بأن أتفق حزقيا على الاحتفاظ بحكمه على أن يقوم بدفع الجزية المتأخرة مع إرسال بناته وبعض النسوة وكنوز كثيرة إلى قصر الملك الآشوري (سنحاريب) بنينوى، ومن الأشياء الطريفة التى حدثت في هذه الحرب بعد أن ترك الملك سنحاريب لاجاش، تقدم لمواجهة تاهرقة، والظاهر أن الجيشين لم يتقابلا، فقد حدث ما أنقذ كل من أورشليم وتهارقة.

ولدينا رواية التوراة (سفر الملوك الفصل التاسع عشر ٣٥-٣٦) أن يهوه أراد أن ينقذ بيت المقدس "أورشليم" فأرسل أحد الملائكة قضت على ١٨٠ ألف من الآشوريين.

---

(١) Olmsted, A., History of Assyrian, London, 1923, p. 378;

سفر التكوين الثاني: الإصحاح ٢٠، ١٣-٢٠.

(٢) التكة: Eltekeh يعتقد أنها خربة المقنع التى تقع إلى جنوب شرقي العقير بحوالي ٦ أميال، انظر:

عبد الحميد زايد: مصر الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٨٩٥- ٨٩٦.

(٣) Luchenbill, D., ARAB, p. 118 f.

أما هيرودوت فقد رد الأعجوبة بطريقة أخـــرى، وحسـب رأيـه أن الجيش المصري هو الذي استفاد من هذا القصاص الإلهي، فقد كـــان يحكـم مصر (أحد كَهنة بتاح سيثوس) الذي أخذه النعاس فنام نوما عميقـــا، وجـاءه الوحي الإلهي بالنصر، ولما استيقظ وثق فى النصر، فتقدم إلى العـــدو علـــى رأس جماعة من أصحاب المحال والفنانين، وهى الليلة السابقة على المعركـة، وقد انتشرت بين مخيم الآشوريين جموع هائلة من الفـــئران فـأكلت جعـب وأقواس ودروع المحاربين، فلما جاء اليوم التالي لاذ الآشوريين بالفرار لأنـهم جردوا من أسلحتهم[1].

ويعقب الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز صالح (رحمة الله عليه) في هـذه القصة بأن توقيت هذه القصة لازال يتأرجح بين تعينه بعام حصار أورشـليم حوالي عام ٧٠١، وبين تعينه بعام تخريب سيناخريب لمدينة لاشيش (لخيـش) ومحاولته الوصول إلى الحدود المصرية حوالي عام ٦٩٠ ق. م. وقد عبر عن انتصاره على (لخيش) في لوحة وضعها في قصر كالح[2] مع مراعاة أن الملك "سنحاريب" في الحملة الأولى أنشغل بملاقاة القوات المصرية عند التكة، فـي نفس الوقت كان قد أرسل رسله لأخذ الجزية من حزقيا لكن الأخـير بمجـرد وصول تحركات القوات المصرية من مصر لنجدته، سحب تعهده وقرر عـدم دفع الجزية ولم تكن أورشليم ضمن المدن التى وقعـت فـى قبضـة الملـك الآشوري.

ومن الصعب تبين حقيقة هذه الحوادث، والشيء المعروف حقا هو أن سنحاريب اضطر إلى ترك فلسطين، وأن عودته لم تكن نتيجة هزيمة حربيـة،

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٨٩٦.

(٢) سفر الملوك الثاني ١٩، ٨-٩.

وقد تعددت الآراء الخاصة بأسباب رجوعه ولكن من الراجح أنه عاد بسبب انتشار وباء بين الجيش وقد أفاد من ذلك كل من أورشليم وتهارقة(١).

وبالنسبة للملك الآشوري "سنحاريب" فلم يعد إلى فلسطين أو مصر ومات مقتولا إذ تشير السجلات أن أحد أبنائه قد أغتاله، ومع ذلك فلقد استمر الخطر الآشوري قويا على مصر في عهد شبتكا (شبتكو) وخلفائه من ملوك نباتا، وربما كان هذا هو السبب فى أن العاصمة الإدارية ومقر الملك في الدولة المصرية الكوشية قد أصبح فى تانيس فى غرب الدلتا بينما بقيت طيبة كعاصمة دينية(٢).

الملك تهراقا: (٦٩٠-٦٦٤ ق.م)

في اللحظة التي توفي فيها الصقر شبتكا وطار إلى السماء، كان نفرتم حو رع (تهراقا) موجوداً في مصر وقد جاء ذكره في التوراة باسم "ترهاقة"، وقد اختلفت الروايات التي نقلت عن مانيثون حول مدة حكمه ما بين ١٨ عاماً، أما الآثار الباقية لنا من عهده فترفع مدة حكمه إلى ست وعشرين عاماً.

وأول أعماله العمرانية ترميم معبد "الكوة" الواقع على مسافة ست أميال جنوبي دنقلة على الضفة اليمنى للنيل،. وقد كشف جريفث فى كوة عن خمس لوحات كبيرة تروى أحداث سنة حكمه الأولى والهبات التي قدمها إلى المعبد الذي وجدت به.

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٨٩٧، وكذا:
Arkell, A.J., op.cit, p. 155.

(٢) ولتر إيمري: المرجع السابق، ص ٢٢٧.

وكان عامه السادس من الحكم سنة خير وفير بسبب ارتفاع ووفرة ماء النيل مما كان له أثره في زيادة ضخمة في المحصول ورخاء كبير للبلاد، وفى السنة نفسها استقبل في منف أمه "ابر" التي لم يكن رآها منذ ارتحاله عن النوبة، وتقوم المباني التي كرسها في النوبة ومدينة هابو شاهداً على آثاره حتى خلال الفترة التي كانت نذر الخطر الحيوي تهدد البلاد من ناحية الشمال الشرقي[1].

لقد كان من الواضح منذ فترة أنه يجب الوصول إلى ما يحسم الأمور بين العاهلين: الآشوري والإثيوبي، فقد أدركت آشور أن أطماعها في الوصول إلى البحر المتوسط والسيادة على سورية وفلسطين لن يتحقق إلا بالسيطرة على مصر، التي تقف بعناد أمام الهدف الآشوري الذي لا يتفق مع الهدف المصري، وقد تابع أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق. م) وهو ابن سناخريب سياسة أبيه العدوانية بنجاح كبير، هذا في الوقت الذي بذل فيه ملوك نباتا كل جهدهم للدفاع عن شرف مصر والتصدي بكل شجاعة للدفاع عن كل ذرة من تراب مصر، في فترة حرجة، ومرحلة شيخوخة تنتاب الكيان المصري ككل، وبنيان داخلي أنهكته الصراعات والطموح الشخصي بعيداً عن المصلحة العليا للوطن.

وتأتى معلوماتنا عن هذه الفترة الحرجة من خلال الوثائق الآشورية، حيث لا تتحدث المصادر المصرية كثيراً عن هذه الأحداث إلا بقدر ضئيل.

ولا نعرف مدى الاستعدادات التي قام بها تهراقا ليواجه تهديد آشور، إلا أنه سكن في تانيس قريباً من حدوده المهددة، وأنه طلب التحالف مع

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٧٦.

ولايات فلسطين، ومع الجزر القريبة مثل جزيرة قبرص ذات الموقع الاستراتيجي للطرق البحرية بين يصر وشرق البحر المتوسط.

وحينما بدأ "أسرحدون" في تنفيذ مشروعه مع مصر، لجأ إلى تأمين جبهته الداخلية بالاتفاق مع بابل حتى يأمن عدم الاصطدام مع الجزء الجنوبي من البلاد، وربما ساعد على تدعيم العلاقة مع بابل كون أم "أسرحدون" البابلية[1].

وقد بدأ أسرحدون في قمع ثورات المدن الفينيقية قبل أن يبدأ في غزو مصر، فاستولى على صور، ثم بدأ بأول حملة على مصر في عام ٦٧٤ ق.م، ولكنه فشل بسبب المقاومة الدموية من جانب المصريين البواسل، ثم ارتد عنها ليواجه حلفاً من السكثيين و الماذيين الذين هددوا الحدود الآشورية الشرقية، ثم قام بالمرحلة الثانية من الغزو عام ٦٧١ ق.م واستعان فيها ببعض أعراب الصحراء على تذليل مشقة الطريق عبر سيناء والصحراء الشرقية وكانت له معارك ضارية في الطريق، وإزاء منف، كما كانت له سياسته في مهادنة الأمراء المحليين وتركهم في مناصبهم، ولكنه لم يهنأ طويلاً بنصره، فثارت مصر ضده وعاونت ملكها "تهارقا" على استرجاع كل سلطانه[2].

وتصف النصوص الآشورية ذلك:

"..... كنت أقاتل يومياً في معارك دامية ضد Tarku (طهارقة) ملك مصر والنوبة المغضوب عليه من الآلهة، وذلك من مدينة Ishhupri حتى منف، وهى مساحة قطعت فى ١٥ يوماً، وقد ضربته خمس مرات بسن

---

(١) ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧، ٢٦٢.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٥٣٤.

سهامي، وأصبته. بجراح وبعد ذلك حاصرت منف مقـر ملكه، فحطمتها ودمرت أسوارها و أحرقتها ...... وقد قمت بتعيين حكام جدد في مصر وحكام وضباط ومشرفين على الموانى وموظفين وإداريين ......"

وحينما غادر "أسرحدون" مصر، حاول طهراقا أن يؤلب الأمراء ضده، وقد نجح إلى حد ما، واستطاع عام ٦٦٩ ق.م. أن يسترد منف من الغزو الآشوري هذه المرة[١]، وهكذا نجح تهراقا في حماية مصر، وأمر بتسجيل هذا الحدث المجيد على قاعدة تمثال له بمعبد الكرنك[٢]، حيث أشارت النصوص الآشورية إلى فشل سياسة أسرحدون لأن عدداً كبيراً مثل منتو-ام حات حاكم طيبة وغيره، ظلوا أوفياء لتهارقا، وبعد أن رحل الغازي من مصر،ظهرت ثورات، فأعد أسرحدون نفسه للرجوع إلى مصر ليضمن فتحها، ولكنه في طريقه على رأس جيشه مات في حاران، وفي هذه الأثناء كان طهراقا يتقدم شمالاً، واستولى على منف وعلى مصر العليا، وخاصة بعد التشجيع والتأييد الذي حصل عليه من الأمراء بدافع رغبتهم في تحرير بلادهم[٣].

وبعد مرور ثلاثة أعوام على استعادة طهراقا لمصر، كان عليه أن يواجه آشوربنيبال (٦٦٨- ٦٢٦ ق. م)، الذي كان من أهم أهدافه إعادة فتح مصر حيث سجلت نصوصه وقائع هذه المعركة:

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٨٩٨.

(٢) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٣) ولتر إيمري: المرجع السابق، ص ٢٢٧.

"…. نسى Tarku (طهراقا) قوة آشور وعشتار، ووثق في قوته والحكام الذين عينهم والذي ثار ضدهم، ونصب نفسه عليهم وأسس مدينة منف (استعادها)، المدينة التى كان والدي قد جعلها (من قبل) ضمن حدوده[١].

فى عام ٦٦٦ ق. م مات أحد عجول أبيس، وأرخ دفنه بالسنة الرابعة والعشرين من حكم طهراقة، وفى السنة نفسها أرسل آشوربنيبال جيشاً إلى مصر ودارت معركة شديدة فى مكان ما شرقي الدلتا، وانتهت بهزيمة طهراقة وفر للمرة الثانية إلى طيبة، ولكنه تركها لحاكمها "منتو ام حات" وتابع فراره جنوباً إلى النوبة، ليكون بعيداً عن أيدى الغزاة، وكانت هذه هي آخر مرة يرى فيها الشمال لأنه مات في نباتا عام ٦٦٤ ق. م، ودفن في هرمه في نوري.

وقد ترك "تهراقا" بعض الآثار الهامة فى مص وبلاد النوبة، حيث زين الصالة الكبرى فى معبد الكرنك بطريق ذى أعمدة عظيمة لا يزال أحدها موجداً، وربما كان هو صاحب البيلون الذي لم يكمل عند المدخل الرئيسي للمعبد، كما شيد عمائر أخرى فى تانيس وإدفو هذا بخلاف آثاره في عدة مناطق ببلاد النوبة[٢].

تانوت آمون: (تانوت أماني)

هو ابن الملك شبتكا (شبتكو)، احتمالية اشتراكه فى الحكم مع طهراقا، وبعد تتويجه وطد العزم على استرجاع مصر وطرد المحتل الآشوري من

---

(١) Luchenbill, D., ARAB, p. 292.

(٢) ولتر إيمري: المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

أرض الكنانة، التى كانت دائمة الثورة ضد آشور، ومصادرنا عن هذه الفترة تأتى من مصدر مصري يسمى "لوحة الحلم"[1].

كذلك من النصوص الآشورية، حيث عثر في جبل البرقل، على لوحة من عهد تانوت آمون تسمى لوحة الحلم، وقد تشابهت الحقائق التاريخية التى وردت على هذه اللوحة مع تلك التي وجدت على خاتم رسام Rassam السابق ذكرها، وتحكي الوثيقتان قصة انتصار، في الأولى انتصار تانوت آمون وفى الثانية المنتصر آشوربنيبال.

ولوحة تانوت آمون توضح لنا الأحوال السياسية لمصر خلال المدة الأخيرة من حكم تهارقا وخلال حكم تانوت آمون القصير، وقد ادعى تانوت آمون في رؤية رآها في أثناء نومه أنه سيستولي على الدلتا التي كانت وقتئذ في يد الآشوريين، وبعد أن عاد من نباتا، أخذ في استرجاع بلاد الدلتا فاستولى على منف وهزم أمير سايس نكاو، وادعى أنه أخضع كل أمراء الدلتا الذين قدموا له ولاء الطاعة بوصفه ملكاً شرعياً على كل مصر، ومن المعروف تانوت آمون قد جلس على العرش في نفس العام التي رأى فيها الرؤية، وقد اختلفت الآراء عن مكان رؤيته للرؤيا في نباتا أو في مصر، ومن الصعب وجوده في مصر في ظل الاحتلال الآشوري، ووجود الأمراء أتباع أشور أمثال نكاو أمير سايس ومنف، ولا يستبعد برستد إمكانية وجوده في طيبة مع صعوبة الموقف بالنسبة لحاكها "منتو ام حات" الذي كان يدفع الجزية للملك الآشوري[2].

---

(١) لوحة الحلم: لوحة من الجرانيت الرمادي يبلغ ارتفاعها ١,٣٩ من المتر وعرضها ٧٢ سنتيمتراً، وهى محفوظة حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة، انظر:
Breasted, J.H., BAR, IV, p. 467.

(٢) Breasted, J.H., BAR, IV, p. 469.

وصف لوحه الحلم والنص[1]:

نرى في الجزء العلوي من اللوحة قرص الشمس المجنح يحيط به صلان، وفي أسفله نشاهد على اليمين اله برأس كبش على رأسه قرص وريشتان ويقبض بيديه على سيف وهذا الإله هو "آمون رع" رب تيجان الأرضين في الجبل المقدس (اى جبل برقل) وهو يقول: "إني أعطيك كل الحياة والسلطة" ويقف أمام الإله الملك تانوت آمون مرتدياً قميصاً ومعلقاً في حزامه ذيلا طويلا من جهة اليسار وينتعل حذاء ويقدم تعويذة في صورة صدرية لوالده آمون وخلفه تقف زوجة الأخت الملكية سيدة "تاستى" وهى تلعب بالصناجة بيدها اليمنى وتصب القربان بيدها اليسرى.

وعلى اليسار يشاهد إله في صورة إنسان على رأسه قرص الشمس وريشتان ويقبض بإحدى يديه على الصولجان وبالأخرى على رمز الحياة، وهو يلبس كالإله الآخر قميصا يصل إلى ركبتيه في حزامه ذيلا طويلاً، وهذا الإله هو آمون رع رب تيجان الأرضين القاطن في الكرنك يقول للملك "إني أمنحك كل الحياة والسلطة" وأمامه يقف تانوت آمون يقدم رمز العدالة لوالده آمون خالقه ومعطى الحياة، وخلفه تقف أخته وزوجة ملكة مصر "بعنخى إرتى" التى تصب القربان بيدها اليمنى وتلعب بالصناجة بيدها اليسرى.

وبين المنظرين السابقين سطر عمودي من النقوش ونقرأ في السطر الذي يتبع المنظر الأيمن ما يأتي: نطق: إني أمنحك أن تظهر ملكا للوجهين القبلي والبحري على عرش حور الأحياء مثل رع أبديا.

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٧٢-٢٧٥.

وفى السطر الذي على الجهة اليسرى نقرأ: نطق: إني أعطيك كل الأراضي وكل البلاد الأجنبية وأكوام الأقواس التسعة مجتمعة تحت قدميك أبدياً.

الترجمة: إنه الإله الطيب (الملك) في اليوم الذي ولد فيه وإنه الإله آتوم للشعب، رب القرنين، وحاكم الأحياء، والأمير القابض على كل أرض، المظفر بالقوة في يوم المعركة والذي يواجه المقدمة في يوم الطعان ورب الشجاعة مثل "منتو" عظيم القوة مثل الأسد المفترس العينين، العادل القلب (تحوت) ومن يعبر البحر في طلب قرنه ومطارداً مؤخرة عدوه (؟). لقد استولى على هذه الأرض ولا أحد يحاربه ولا أحد يقف مواجها له ملك الوجه القبلي والوجه البحري "با كارع" ابن الشمس تانوت آمون محبوب آمون صاحب نباتا.

الحلم: في السنة الأولى التى توج فيها ملكا... رأى جلالته حلما ليلا (فرأى) ثعبانين: واحد على يمينه والآخر على يساره.

تفسير الحلم: واستيقظ بعد ذلك جلالته ولم يجدهما، فقال جلالته من أين حدث لي هذا(؟) وعندئذ أجابوه قائلين: إن أرض الجنوب ستكون لك وستستولي على أرض الشمال، والإلهتان تضيئان على جبينك (أي الإلهة نخبت. والإلهة واجت) وتعطى الأرض طولاً وعرضاً لا يقاسمك إياها آخر.

الحلم يتحقق: وعندما توج جلالته على عرش حور في السنة الأولى خرج جلالته من المكان الذي كان فيه كما خرج حور من بلدة خب أو خميس (وهى مكان كوم الخبيزة الحالية الواقعة في شمال الدلتا وهو المكان الذي يقال أن إيزيس ولدت فيه حور)، وذهب من ... في حين

أنه أتى إليه ملايين ومئات الآلاف خلفه، فقال جلالته تأمل إن الحلـم صحيح إنه (أي الحلم) مفيد لمن يضعه في قلبه وشر لمن لا يفهمه.

تأكيد تفسير الحلم على يد آمون نباتا: ثم وصل جلالته إلى نباتا في حين لـم يقف أمامه أحد (معارضا له) ووصل جلالته إلـى معبـد "آمـون" صاحب نباتا القاطن فى الجبل المقدس، وكان قلب جلالته فرحا عندما رأى والده "آمون رع" رب طيبة القاطن فى الجبل المقدّس (برقـل) وأحضرت الأكاليل لهذا الإله الطيب.

بعد ذلك: أظهر بهاء جلالته آمون وأحب نباتا وعمل لـه قربـات عظيمـة، وأسس له وقفاً يتالف من ستة وثلاثين ثوراً آنية من جعـة (عـش) ومائة ريشة.

السفر الى مصر[١]: ثم انحدر جلالته في النيل الى ارض الشمال ليرى آمون الذى أخفى اسمه من الآلهة ووصل جلالته الى إلفنتين (أسوان) ثـم عبر جلالته إلفنتين ووصل إلى معبد "خنوم رع" رب الشمال وأقام له قربات عظيمة فقدم خبزاً وجعة لآلهة الكهفين (اللذين ينبـع منـهما النيل) وأرضى نون (أي النيل) في كهفه.

أقامته فى طيبة ثم انحدر جلالته في النيل الى طيبة وساح جلالته إلـى داخل طيبة ودخل جلالته معبد "آمون رع " رب تيجان الأرضين، ثم أتى إلـى جلالته الكاهن العظيم للتصميمات، والكهنة غير الرسميين لمعبد "آمـون رع " رب تيجان الأرضين وحملوا له أكاليل لآمون الخفي الاسم. وكان قلب جلالتـه

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق.

منشرحا عندما رأى هذا المعبد وطلع آمون رع رب طيبة ببهاء وأقيم له عيد في كل الأرض.

السفر إلى منف: ثم انحدر جلالته نحو الشمال، وكانت الابتهالات على اليمين وعلى الشمال (تبعث) من الشعب قائلين: مرحبا بمقدمك، مرحباً إن حضرتك فى سلام لتحيى الأرضين ولقيم المعابد التى تهدمت ولتنصب تماثيلها فى محاريبها ولتقدم قرباناً للآلهة والإلهات وقربات جنازية للمنعمين (المتوفين). ولتضع الكاهن المطهر في مكانه، ولتعطي كل شئ من القربان المقدس، والذين في قلوبهم حرب صاروا في سرور.

الاستيلاء على منف: وعندما وصل جلالته إلى منف خرج عليه هنالك أولاد الثورة ليحاربوا جلالته، وعندئذ أوقع مذبحة عظيمة بينهم وعدد قتلاها لا يحصى، واستولى جلالته على منف ودخل معبد بتاح وقدم قرباناً لبتاح-سكر وأرضى الإلهة سخمت العظيمة التى تحبه.

إقامة مبان لآمون في نباتا شكر على النصر الذي أحرزه وكان قلب جلالته فرحا ليقيم آثاراً لوالده آمون صاحب نباتا. وأصدر جلالته أمراً خاصاً بذلك إلى النوبة ليقام له قاعة جديدة لم يبن (مثلها) في عهد الأجداد. وأمر جلالته أن تقام بالأحجار المغشاة بالذهب، وألواحها من خشب الأرز ومعطرة بعطر بلاد بنت ومصراعا بابها من السام، وضبتها (مزلاجها) من القصدير، وأقام لنفسه قاعة أخرى في المخرج الخلفي لجمع لبن حيواناته التي تعد بعشرات الآلاف والآلاف والمئات والعشرات ولم يعرف عدد العجول الصغيرة التي مع أمهاتها.

الذهاب إلى الدلتا ومقاومة مدنها(١)

والآن بعد هذه الأشياء ساح جلالته شمالاً ليحارب رؤساء أهل الشمال، وعندئذ دخلوا معاقلهم مثلما تزحف الحيوانات إلى جحورها، وأمضى جلالته عدة أيام أمامهم ولكن لم يخرج واحد منهم لمحاربة جلالته.

الملك يعود إلى منف

والآن انحدر جلالته في النهر الأبيض (منف) وجلس في قصره يتشاور مع قلبه كيف يجعل جيشه يحيط بهم.

ثم قال جيشه إن واحداً أتى ليخبره قائلاً: "إن هؤلاء العظماء قد أتوا إلى المكان الذي فيه جلالته (وقالوا) يا مليكنا فقال جلالته: هل أتوا ليحاربوا؟ أو هل أتوا ليخضعوا؟ وإذن سيعيشون من هذه الساعة، فقالوا لجلالته: لقد أتوا ليخضعوا للملك سيدنا. فقال جلالته: أما عن سيدي هذا الإله الفاخر "آمون رع رب تيجان الأرضين" القاطن في الجبل المقدس الإله العظيم الفاخر، ومن اسمه معروف، فانه ساهر على من يحبه ويعطي القوة لمن يواليه، تأمل لقد أخبرني بها ليلاً ورأيتها نهاراً. وقال جلالته أين هم في هذه الساعة فقالوا لجلالته إنهم هنا منتظرون فى القاعة".

الملك يقابل الأمراء على باب القصر

وبعد ذلك خرج جلالته من قصره كما يضئ رع في مسكنه اللامع فوجدهم منبطحين على بطونهم يقبلون الأرض أمام جلالته. وقال جلالته: تأمل إنه حق نطق به وهو كلمة تدبيره. تأمل إنه يعلم ما سيحدث. إنه قرار الإله وعلى ذلك وقع. وإني أقسم بقدر حب الإله رع وبقدر إكرام آمون لي في بيته، تأمل لقد رأيت هذا الإله الفاخر صاحب نباتا يقطن في الجبل المقدس وعندما

(١) سليم حسن: المرجع السابق.

كان واقفا بجانبي قال لي: إني قائدك في كل طريق ويمكن ألا تقول: ليت كان عندي: (يلحظ هنا أن خاتمة كلام تانوت آمون ممزقة وغامضة إلى حد بعيد وما تبقى من كلامه فيه ما يكفي للدلالة على أنه كان لا يحتوى إلا على جمل تدل على النصر وليس لها أهمية تاريخية، ومن الواضح أنه يحدث الرؤساء الخاضعين لسلطانه بأن خضوعهم ما هو إلا إنجاز لوعد آمون له) ... وبعد ذلك أجابوه قائلين تأمل إن هذا الإله كشف لك البداية وقد أنجز لك النهاية في سعادة.

تأمل لا تفعل... ما يخرج من فمه يا أيها الملك يا سيدنا. وبعد ذلك قال الأمير الوراثي وحاكم "سبد" العظيم: إنك تذبح من تريد وتدع من تريد يعيش (....) وقد أجابوه في نفس واحد اعطنا النفس يا رب الحياة ومن بدونه لا حياة. دعنا نخدمك مثل العبيد الذين هم رعايا لك كما تقول فى الأول فى اليوم الذى توجت فيه ملكا. وقد انشرح قلب جلالته عندما سمع هذه الكلمة وأعطاهم خبزا وجعة وكل شئ طيب.

صرف حكام الدلتا:

وبعد مضى بضعة أيام بعد هذه الحوادث ومنح كل شئ بكثرة ... قالوا لماذا نزل هنا يا أيها الملك سيدنا؟ فقال جلالته: إلى أين؟ فقالوا لجلالته: دعنا نذهب إلى مدننا حتى نأمر عبيدنا لتحضر جزيتنا إلى البلاط. فسمح لهم جلالته بالذهاب إلى مدنهم وأصبحوا رعاياه.

حكمه القصير في منف:

وقد ذهب الجنوبيون إلى الشمال وذهب الشماليون إلى المكان الذي كان فيه جلالته، حاملين كل شئ طيب من أرض الجنوب، وكل مؤن أرض الشمال لإشباع قلب جلالته، وذلك عندما

ظهر ملك الموجه القبلي والوجه البحري "با كارع" ابن "رع" تانوت- آمون" له الحياة والسلطة والصحة، على عرش "حور" سرمديا".

وهكذا ترى من محتويات هذه اللوحة أنها لا تشير إلى أى حرب قمت بين مصر "آشور" بل لا نجد فى غيرها، من نقوش هذا العصر فى المتون المصرية ما يشير من قريب أو من بعيد إلى نشوب حرب بين آشور" ومصر. ولا غرابة فى ذلك فإن ملوك مصر لم يتحدثوا قط عن أية حروب هزموا فيها قط في كل أطوار تاريخهم ولم يشذ بطبيعة الحال "تانوت آمون" وأسلافه، وكل ما نعرفه عن الغزو الآشورى لمصر وصل إلينا من المتون الآشورية.

ويتضح من النص السابق أن "تانوت آمون" قد نجح عندما حاصر منف والحامية الآشورية فيها، وأخضع الأمراء الموالين للمحتل الآشورى وضمنهم نيكاو أمير سايس الذى كانت آشور قد قربته باعتباره من الأسرة الرابعة والعشرين المنافسة لبيت نباتا وخلعت عليه الألقاب، كما عينت ابنه "بسماتيك" حاكما على أتريب الإقليم العاشر من أقاليم الدلتا، وبعد احتلال تانوت آمون لمنف بنجاح هادن أمراء الدلتا الذين قدموا له الولاء والطاعة، في الوقت الذى يعتقد أن نيكاو قد قتل فى المعركة، بينما اضطر ابنه بسماتيك للهرب إلى بلاد الشام[1] وعندما وصلت تلك الأحداث إلى مسامع "أشور بانيبال" استشاط غضبا وعاد بجيوشه إلى أرض

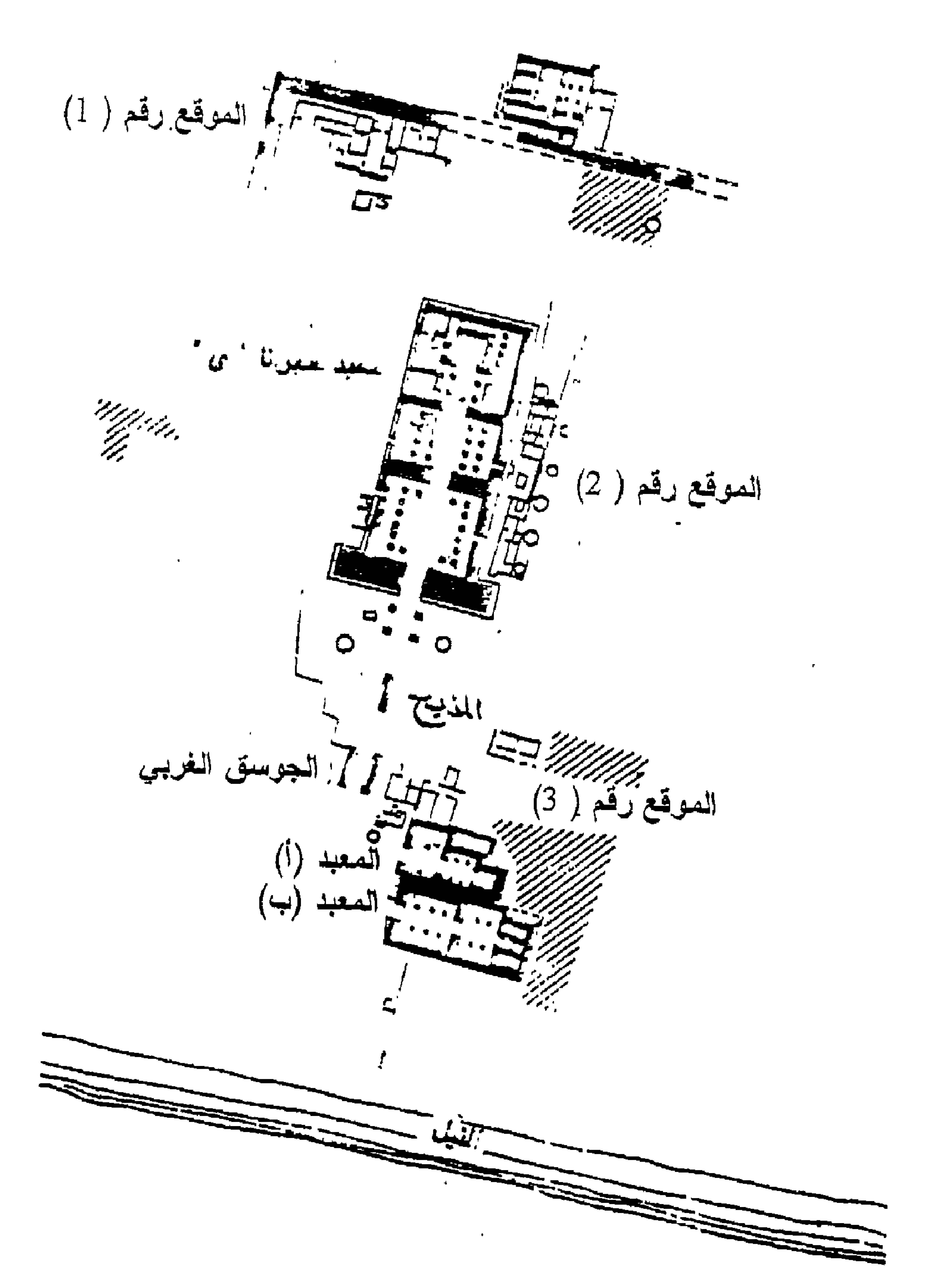
(١) هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، مراجعة أحمد بدوي، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٨٥.

مسامع "أشور بانيبال" استشـاط غضبـا وعـاد بجيوشـه إلـى أرض مصر، وبفضل الكثافة العديـدة لجيشـه نجـح فـى هزيمـة تـانوت آمون، فانسحب الأخير إلى الجنوب وتتبعته القـوات الآشـورية حتـى طيبة ودمرتها بالرغم من مقاومة الأهـالى هنـاك وشـجاعة حاكمـها "منتو إم حات" وهو رجل محنك عمل على الاحتفـاظ بـالقوة الفعليـة الى جانب زوجة الإله "شبن وبت" الثانيـة أخـت تـهراقا، وقـد ورد اسم حاكم طيبة فى أسطوانة رسام مـن عـهد آشـور بانيبـال كملـك لطيبة، في الوقت الذى كان ينتمـي إلـى أسـرة مـن كبـار أسـرات الكهنة وكان حاكماً لطيبـة.

وبعد الغارة المدمرة على طيبة ظل تانوت آمـون يلقـب بأنـه الفرعون الحقيقي لبضع سنوات، فقد وجـدت لـه آثـار تشـير إلـى العام الثامن من حكمه، لكن المؤكد انسـحابه إلـى نباتـا حيـث مـات هناك ودفن في جبانة "كرو" وتوقـف الاتصـال السياسـي بيـن نباتـا ومصر وإن بقيت العلاقات التجارية، فـي الوقـت الـذي وجـت فيـه نباتا اهتمامها نحو الجنـوب بـدلاً مـن الشـمال، فأسسـوا عاصمـة جديدة لهم في "مروي" قرب التقاء النيل برافـد العطـبرة[1].

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٨٠-٣٨١.



خريطة عامة لموقع كوة

نقلاً عن: جريمال، المرجع السابق، ص ٤٥١.

الفصل الخامس

الأسرة السادسة والعشرون

الأسرة السادسة والعشرون

كما سبق وبينا فلقد كما سلطان آشور قرابة نهاية حملة "آشور بانيبال" على مصر في أقوى مظاهره، وكان وقتئذ يسيطر على إمبراطورية شاسعة المساحة مترامية الأطراف، وكان قد هزم أعداءه في كثير من البلدان ولكنهم كانوا أشد استمساكاً باستقلالهم، ولذلك كان عهده مليئ بالثورات حافل بالاضطرابات، وبدت نذر المتاعب أول ما بدت في عيلام، عدوته التقليدية والواقعة حدودها إلى الشرق من دولته، لم يكد يتغلب على هذا الخطر حتى قام حلف جديد أوسع مدى أسهم في جانب منه أخوه الخائن "شمش شو موكين" حاكم بابل، وبالنسبة لمصر كان من الواضح أن "آشور بانيبال" لا يستطيع أن يستعيد سلطانه على الدلتا إلا عن طريق ولاء من عينهم نواباً له هناك، وكان في استطاعته أن يترك معهم عددا قليلا من الجند الآشوريين، وقد اتبع من قبله "أسرحدون" سياسة إحلال هؤلاء الأمراء الذين لم يكن يثق فيهم بغيرهم ممن وقع عليهم اختياره الشخصي وكان ضمن هؤلاء "نكاو" أمير سايس، ولكنه أعلن الثورة وأُخذ مع غيره أسرى إلى عاصمة آشور "نينوى"، لكن "آشور بانيبال" حين رآه أدرك أنه رجل ذو قدرة وإقدام فأظهر العطف عليه وأعاده إلى سايس، وأقام ولده حاكما على أتريب.

والنص الآشوري يصف ذلك: "..... أعدت له سايس كمقر وعاصمة وكان قد عينه أبى ملكاً عليها وعينت ابنه "نابوشزيباني" على أتريب ....[1]

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٨٤.

وقد وضع مانيثون نكاو الأول هذا ثـالث ملـوك الأسـرة السادسة والعشرين وهناك أسباب وجيهة جعلـت المؤرخين يـروا فـي بسـماتيك الأول (رابع الملوك في ترتيب مانيثون) هـو المؤسـس الحقيقـي للأسـرة السادسة والعشـرين (٦٦٤-٥٢٥ ق.م)

ترتيب ملوكها كما يلي:

١- بسـماتيك الأول ٦٦٤-٦١٠ ق. م.

٢- نكاوالثـاني (نخـاو) ٦١٠-٥٩٥ ق. م

٣- بسماتيك الثـاني ٥٩٥-٥٨٩ ق. م.

٤- واح- إب-رع (أبريـس) ٥٨٩-٥٧٠ ق. م.

٥- أحس الثـاني "أمـازيس" ٥٧٠-٥٢٦ ق. م.

٦- بسماتيك الثـالث ٥٢٦-٥٢٥ ق. م.

الملك بسماتيك الأول (واح اب - رع): (٦٦٤-٦١٠ ق.م)

تولى الحكم لمدة ٤٥ عاماً، (أو ٥٤ عاماً)، ويعد عهده فاتحة عهد جديد في تاريخ مصر، وبداية حكم أسرة جديدة هي الأسرة الصاويـة نسـبة إلـى العاصمة "ساو" التي عرفت لدى الإغريق باسم سايس، وتقع حاليا فـي صـا الحجر في الناحية الغربية من الدلتا، وقد تولى- "بسماتيك" إمارة سايس بعـد وفاة والده نكاو، وذلك كما ذكر هيرودوت الذي ذكر أنه أثناء الاحتفال ببعض الأعياد في معبد بتاح في حضور الحكام الإثنا عشر، وفيما هم يزمعون سكب القربان في آخر أيام العيد، أحضر لهم الكاهن الأكبر الأواني الذهبيـة التـي اعتادوا استخدامها في سكب القربان، ولكنه أخطأ في العدد فـأحضر إحـدى عشر آنية مع أنهم كانوا اثنى عشر ملكاً، ولما لم يكن لبسماتيك الذي كان يقف آخرهم إناء، نزع خوته وكانت من البرونز، ومدها ثم سكب بها القربان. ولـم

يجل مطلقاً بخاطر "بسماتيك" أي تفكير سيئ عندما مد خونته، ولكن الآخريـن فكروا فيما فعله وفي الوحي الذى كان قد أنبأهم بأن الذي يسكب منهم القربـان من إناء برونزي سيكون وحده ملك مصر، ولما تذكروا النبوءة، اعتبروا أنـه من الظلم قتل بسماتيك، وقرروا إبعاده إلى المستنقعات (منخفضات الدلتا) بعد تجريده من سلطانه، وألا يغادرها، ولا تكون له صلات مع باقي أقاليم مصر.

ويمضى هيرودوت في قصتـه:

وبعد نفيه إلى المستنقعات، أحس أنهم امتهنوا كرامته ففكر في الانتقام ممن طردوه، فأرسل إلى معبد "ليتو" في مدينة بوتو حيث يوجد هناك وحـي مصدق تمام التصديق عند المصريين، وجاء الوحي بأن الانتقام سيأتي مـن البحر عند ظهور قوم برونزيين لمساعدته، ولكن بعد مضي وقت غير طويـل جاء إلى مصر بنفر من الأيونيين والكاريين (المرتزقة)، ولما نزلوا إلى البر، مدرعين بالبرونز، ذهب أحد الرجال المصريين وبلغ بسماتيك بما حدث فأدرك بسماتيك أن النبؤة قد تحققت، وعمل علـى مصادقـة الآيونيين والكـاريين وأغراهم بوعود سخية لينضموا إليه، فلما أقنعهم، تم خلع الملـوك بمسـاعدة هؤلاء المرتزقة والمصريين الذين رغبوا في تأييده[1].

وكما يرى بعض الباحثين ومنهم "نيقولاا جريمال" و كيتشن، أن وضع بسماتيك كان في غاية الصعوبة ولكنه مع ذلك نجح في تأكيد منزلته الكبـيرة على باقي مناطق الدلتا، وأيضاً على الأمراء الآخرين فقد استطاع أن يسيطر على غرب الدلتا وعلى مملكتي آتريب وأيونو، ولم يتمكن من فرض سيطرته على ملوك الشمال قبل عام حكمه الثامن وبعد أن كان قد ضم إلى جانبه مـن

---

(١) هيرودوت يتحدث عن مصر، المرجع السابق، ص ٢٨٥-٢٨٦.

قبل "سمتاوي تف نخت" أمير هيراكليوبوليس الذي خلف بادي إيزيس في العام الرابع، كما ساعده "سمتاوي تف نخت" على السيطرة على طيبة[1].

وفي الوقت الذي أصبحت فيه سايس في غرب الدلتا هـي العاصمة الإدارية للبلاد، فلقد ظلت طيبة تحتفظ بمكانتها، وخاصة بعد قيام بسماتيك في عام حكمه التاسع بتأكيد سيطرته على طيبة، وذلك حينما قامت ابنته "نيتوكريس" بالذهاب إلى طيبة وتنفيذا لأوامر بسماتيك طلب من زوجة الإله آمون "شبن أوبت" الثانية و "أمنارديس" أن تتبنيا ابنته وتأكيد حقوقها في أملاك آمون بطيبة وبذلك أصبحت للعاصمة سايس نفوذ في الجنوب والشمال معا[2].

تحرير مصر من الاحتلال الآشوري

جمع العداء بين آشور وبسماتيك وحليفه "جيجس" ملك ليديا في زيادة الروابط التعاون بينهما، والاستعانة بمواطني الأخير من الآيونيين والكاريين، ومن المحتمل أن "بسماتيك" قد تغلب الأمراء الإقطاعيين في موقعة أو موقعتين، ووجد في الجنود المرتزقة من الإغريق خدما مخلصين، وقد ساعده ذلك على توطيد نفوذه داخل البلاد.

وفي الوقت الذي تعرضت فيه الدولة الآشورية لثورات مستمرة مما كان سببا في تدهور الإمبراطورية نفسها، واستغل بسماتيك ذلك الضعف، وبمساعدة من الجنود المرتزقة نجح في هزيمة الحامية الآشورية.

---

(١) نيقولا جريمال:تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة ١٩٩٣، ص ٤٥٨ .

وكذا: Kitchen, K., op, cit, p. 400.

(٢) Ibid, p. 403.

وتشير المصادر الآشورية الخاصة بتقرير الحملة الثالثة لآشور بنيبال كما يظهر في اسطوانة "رسام" مما يؤكد تحرير مصر، وتفصيلات عن الظروف التي ساعدت بسماتيك من تحرير نفسه من السيطرة الآشورية بصورة تستحق الرعاية والتصديق، إذ جاء بها أنه: "...... حين هاجمت جيجس ملك ليديا جحافل الكميريين المتوحشة استطاع أن يصدهم بفضل معونة آشور بنيبال......" وتشير فقرة أخرى "...... أرسل قواته إلى (توشا ملكي) بسماتيك ملك مصر الذي رفع عن عنقه نير سيادتي ......"(١).

وتشير الآثار إلى هزيمة الأمراء الحربيين الشماليين وضم إمارة طيبة التي كان يسيطر عليها آمون، وطرد الآشوريين نهائيا من مصر لم يستغرق أكثر من تسع سنين غير أن هذه الأعمال الكبيرة التي حققها بسماتيك لم تؤلف إلا جزءا صغيرا من مشاريعه العظيمة، إذ كان من واجبه بعد ذلك ينحصر في إعادة الرخاء إلى البلاد، والقضاء على البؤس الذي استمرت البلاد ترزح تحت عبثه قرنين من الزمان قضتها في حروب داخلية وغزوات خارجية، وقد لجأ "بسماتيك" إلى مجموعة من الاصطلاحات الإدارية، ومنها أنه أجبر أمراء الإقطاع على الخضوع إلى سلطانه وحرمانهم ألقابهم الملكية التي يدعونها بدون حق.

كذلك لجأ بسماتيك الأول إلى إعادة نفوذ الأسرات الشمالية على الجنوب التي افتقدتها قرن من الزمان، وذلك بالحد من سلطان حاكم طيبة

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٨٥.

"منتو ام حات" وكهان آمون، ووضع إلى جانب "منتو ام حات" موظف مخلص هو "نسونا واياو"[١].

وقد لوحظ أن هناك درجة ملحوظة من الرجوع إلى القديم تبدو في الفن وفي النصوص الدينية للعصر، وقد تم في العصر الصاوي إحياء ألقاب الشرف القديمة وأخذ النحاتون والنقاشون ينسخون في حرية نقوش الدولة القديمة، وبدء في نقش المقابر بمقتضيات نقلت عن متون الأهرام.

ومنذ تلك الفترة نلحظ ازديادا واضحا في التدين المصري، وقد ازداد بذلمنح الأراضي للمعابد، وتقبل الملك ذلك عن رضا من جانب الملاك بقصد استرضاء الكهانة الوراثية، حيث كانت أسرة "بسماتيك" قد رأت من حسن السياسة أن تعود بالبلاد إلى مظاهر عهدها القديم فسارت في نظامها وإدارتها وعقائدها، وثقافتها على سنة السلف الصالح من حكام الدولتين القديمة والوسطى وطلعت علينا آثارها تتحدث بذلك، وكانت هناك مجموعة من المحاربين عرفت لدى اليونان باسم "ماخيموي" وقد وافق "بسماتيك" أن يحصل على قوات جديدة أثبتت بأسها لتتم الموازنة مع الـ "ماخيموي" الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمراء المحليين في أقاليمهم الخاصة، وقد بدت للملك الصاوي بخاصة ميزة هامة هي مهارة اليونانيين كتجار، وكانت سفنهم تحمل القمح المصري إلى بلادهم ويدفعون الفضة مقابلة، ولما رأى "بسماتيك" أن يحصن بلاده جعل على حدودها حاميات ثلاث كانت أولاها عند (جزيرة فيلة) وكان جنودها من المواطنين، وكانت الثانية والثالثة في الشمال، إحداهما في "

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٩٢١.

دفنة" عند خليج السويس، والأخرى في ماريا (مريوط) وكان الجند في كلتيهما من الإغريق[1].

الملك نكاو الثاني (وحم ابـ رع) ٦١٠ - ٥٩٥ ق.م:

تولى الملك نكاو الثاني العرش بعد وفاة والده، والواقع أنه ورث عن والده ملكا ثابت الأركان قائما على أسس وطيدة، وقد اختلفت في مدة حكمه فيرى مانيثون أنه حكم ست أو تسع سنوات، أما على الآثار فأعلى رقم لحكمه هو السنة السادسة عشرة[2] وهو ما نميل إليه.

ويتحدث هيرودوت (الفقرة ١٥٨) عن ذلك:

" وانجب بسماتيك ولدا هو نيخوس " (نخاو الذي تردد اسمه في التوراة)، وهو أول من شرع في حفر القناة التى تؤدى إلى البحر " اروترى" (البحر الأحمر) والتي أتم حفرها من بعده درا الفارسي، وطول القناة يساوى مدة إبحار أربعة أيام، وقد حفرت عريضة، حتى أن سفينتين من ذوات ثلاثة صفوف من المجاديف تمخرانها جنبا إلى جنب، ويأتي إليها بالماء من النيل، منصرفا من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل، بالقرب من المدينة العربية "موس" (مدينة مصرية قديمة ورد ذكرها في التوراة)، ..... وقد هلك من المصريين أثناء عملهم في القناة في عهد نيخوس مائة وعشرون ألف عامل، وتوقف "نيخوس " في منتصف، عملية الحفر لأن نبوءة عاقته بقولها أنه يعمل

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٨٩.

وكذا: هيرودوت: المرجع السابق، ص ٤٣-٤٥.

(٢) سليم حسن: مصر القديمة، ج٢، ص ١٨٣.

لصالح البربر (الأجانب)، والمصريون يسمون كل من لا يتكلمون لغتهم بربرا[١].

وبناء على ما قاله المؤرخ "هيرودوت" رأى الجغرافي "لينان دى بلفند" أن القناة القديمة يبدأ مجراها بين تل أبى سليمان والغوارنة، حيث أن مدينة "بر آتوم" تقع إلى الشمال من بوباسطة بقليل، أيضا فإن ما قاله هيرودوت من كون نكاو الثاني هو أول من قام بحفر هذه القناة لا يتفق مع المنطق، حيث أن مدة حكم نكاو لا تسمح بالقيام بعمل مشروع ضخم مثل حفر هذه القناة، وفى تلك الفترة المضطربة من تاريخ مصر، لأن حفرها يحتاج لفترة أطول من مدة حكم الملك نكاو الذي كان له اهتمامات أخرى بإقامة كثير من المعابد في جهات متفرقة وتشييد أسطول يحقق مشروعاته الطموحة، وربما يكون نكاو" قد قام بعملية تطهير أو تعميق للقناة، مما جعلها في صورة أفضل، مع مراعاة أنه لم يكمل الحفر بسبب نبوءة كما قال هيرودوت[٢].

مع مراعاة أن أول من فكر في حفر هذه القناة هم ملوك الدولة الوسطى للاستفادة من المجرى القديم لمجرى النيل، وذلك بحفر مجرى مائي ملاحي يخرج بالقرب من تل بسطة الحالية ليصل إلى بحيرة التمساح والبحيرات المرة ثم إلى البحر الأحمر، وذلك في جهود ملوك الدولة الوسطى لتأمين حدود مصر الشرقية، ويمكن القول أيضا أن

---

(١) هيرودوت: المرجع السابق، ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) Shafeim A., "Historical notes on the pelusic Branch, the red-sea Canal and the route of the Exodus", *BSRGE*, 21, 1943, pp. 242-246; Lloyd, A.B., "Necho and sea", *JEA*, 63, 1977, pp. 143-144.

القناة في تلك المنطقة كانت معرضة للطمي من وقت لآخر بسبب عوامل التعرية، وقد يؤدى هذا إلي منع جريان المياه فيها، الأمر الذي يتطلب تطهيرها من فترة لأخرى، وتبعا لتعليمات الحكومة المركزية من وقت لآخر، ولذا نعتقد أن ما حدث في عهد الملك نكاو كان. ضمن عمليات تطهير وتوسعه للقناة القديمة، مع احتماليه التفكير في زيادة المجرى المائي الأمر الذي توقف بسبب النبوءة، وهو ما قام به الملك الفارسي دارا فيما بعد.

وكما يرى "آلان جاردنر" أن "نكاو" في الوقت الذي اضطر فيه أن يتخلى عن محاولته السابقة لربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة تبدأ من فرع الدلتا البوبسطى حتى خليج السويس على البحر الأحمر،[1] فإنه قد نجح عن طريق السفن الفينيقية التى أرسلها لتقوم بدورة ملاحية حول أفريقيا، وقد عادت عن طريق أعمدة هرقل (جبل طارق) في العام الثالث من حكمه،[2] وقد تحدث البحارة انهم قد رأوا الشمس تشرق عن يسارهم، ثم عادوا ورأوها تشرق عن يمينهم، مما يعنى نجاح الرحلة في الدوران حول رأس الرجاء الصالح، مما يشير إلى اهتمام نكاو الثاني" بالشقين الاقتصادي والعلمي معا.

---

(١) يرى عبد المنعم عبد الحليم أن القناة التى أمر رمسيس الثاني بحفرها، لم يكن الهدف منها ربط النيل بالبحر الأحمر، وإنما كان الهدف هو إيصال المياه العزبة إلى منطقة وادي الطميلات، وبصفة خاصة أراضى معابد الإله أتوم في تل المسخوطة "تكو... عاصمة الإقليم ٨ من الدلتا، انظر:

عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر في العصور القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٢٠٦.

(٢) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٨٩.

السياسة الخارجية للملك نكاو الثاني:

اهتم الفرعون نكاو الثاني ووالــده "بسماتيك " بالجبهة الشمالية، وقد طاردت القوات المصرية الفلول الآشورية المنسحبة من مصر حتى فلسطين، لكن الخطر بالنسبة لآشور كان يقوم من ناحية الأسكيزيين الذين اكتسحوا البلاد، ولم يوقف تقدمهم عن الحدود المصرية إلا بسبب الهدايا والعطايا التى قدمها لهم بسماتيك لتجنب الاحتكاك بهم، وكان هناك خطر اشد يتمثل في ظهور إمبراطورية جديدة وكبيرة في الشمال الغربي من إيران، وخاصة بعد وفاة آشور بنيبال في عام ٦٢٧ ق. م، وحدث بعد عام أن جلس نابوبولاسر" على العرش في بابل، بعد أن هزم الجيش الآشوري هزيمة ساحقة على يد البابليين الذين كانوا يسعون لتأكيد استقلالهم.

وفشلت كل المحاولات من جانب آشور لاستعادة نفوذهم، وفى عام ٦١٦ ق. م أصبح من الواضح أمام مصر أن قيام تحالف بين البابليين والميديين يغدو أشد خطرا على مصر نفسها وأشد خطرا من عدوتها السابقة آشور، لذلك قررت مصر أن تنحاز إلى جانب آشور، وكان قرارا غير صائب، لأنه في عام ٦١٢ ق. م سقطت العاصمة الآشورية نينوى غير مأسوف عليها من جانب أعداء آشور[١].

".... كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيدهم عليك"[٢]

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩٠.

(٢) ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٦٦.

وبعد سقوط العاصمة الآشورية استطاعت مجموعة من القوات الآشورية بقيادة الملك الآشوري "آشور أو باليط الثاني" الهروب من "نينوي" ناحية الغرب،بأمل مواصلة الكفاح، و اتخذت من حران ملجأ لها، و لكنها أمام الهجوم البابلي والمادي انهزمت بسهولة عام ٦١٠ ق.م، و دمر البابليون حران كما دمروا نينوى من قبل.

ومنذ عام ٦٠٩ ق.م. لم يعد ذكر للملك الآشوري "آشور أو باليط الثاني" وقد حل محله الملك "نكاو الثاني" الذي واجه الملك البابلي "نابوبولاسر"، وحينما صعد فرعون مصر "نكاو الثاني" لمواجهة البابليين، زاحفاً في عام ٦٠٨ ق.م. بجيشه المصري متجها نحو آسيا بمحاذاة الشاطئ شمالاً وعند فلسطين، رغب "يوشيا" حاكم أورشليم مقاومة الجيش المصري لأنه رأى أنه لا يمكنه تحمل سيادة مصرية جديدة بدلاً من السيادة الآشورية وقد تقابل مع جيش مصر بقيادة نكاو عند سهل مجدو، وبرغم تحذير ملك مصر له لكنه لم يستمع له، فتعرض هو وجيشه لهزيمة ومات ودفن في أورشليم، وبعد وفاته تولى ابنه "ياهو آحزار" لكن نكاو صعد مرة أخرى إلى بلاد "ميروبوتاميا" وحقق نجاحاً ضد البابليين في ناحية كيموخو وقوراماتي عند الفرات، ثم اتجه الجيش المصري إلى أورشليم مرة أخرى وأسرت "يهوآحاز" ونفته إلى مصر حيث مات هناك، وعينت "الياقيم بن يوشيا" مكانه بعد أن غير اسمه إلى "ياهوياقيم" الذي دفع إلى مصر جزية كبيرة من الذهب والفضة.

وفي عام ٦٠٥ ق.م عين الملك البابلي المريض "نابو بو لاسر" ابنه "نبوخذ نصر" لمحاربة مكاو، قد دارت بينهم معركة في ربيع عام

٦٠٥ ق.م عند قرمقيش على نهر الفرات (ما بين خريف ٦٠٥ وخريف عام ٦٠٤ ق.م)، وفي هذه المعركة هزم فيها المصريين.هزيمة منكرة، وقد اضطر "نبوخذ نصر" إلى أن يكف عن غزو مصر بعد ذلك الانتصار، بسبب موت والده المفاجئ مما يحتم عليه العودة إلى بابل، وقد جاء ذكر ذلك في كتاب الملوك الثاني الأصحاح ٢٤:

لم يعد أيضا ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ المناطق من مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر، بل وحاصر أورشليم واستولى عليها، وأسر "ياهوياقيم" وابنه ومعهما عددا من عظماء القوم وسيقوا جميعا إلى بابل، وقد نصب "نبوخذ نصر" صديقا مكان "ياهوياكين" ابن "ياهوياقيم"[١].

وهكذا أخفت جميع المحاولات التي بذلها الفرعون نكاو الثاني (تخاو) في سبيل مساعدة حلفائه الآشوريين على أعدائه البابليين، أو بعبارة أصح تبددت أحلامه في استغلال أحداث الشرق القريب لصالح مصر، فانصرف إلى النظر في شؤون بلاده الداخلية والنهوض بأمور مصر الاقتصادية[٢].

الملك بسماتيك الثاني (نفر - إيب - رع) ٥٩٥- ٥٨٩ ق.م

تبعا للمؤرخ المصري "مانيتون" أن بسماتيك الثاني حكم لمدة ست سنوات، وهي نفس المدة التي ذكرها هيرودوت والآثار التي تم العثور عليها تؤكد ما قاله "أفريكانوس" نقلاً عن مانيتون وما ذكره هيرودوت.

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ١٨٧-١٨٩.

(٢) هيرودوت: المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨.

وتدل الأحوال أنه قد تولى العرش خلفا لوالده، واتبع سياسته وكان أهم ما وجه إليه عنايته هو بالمحافظة على حدود بلاده من ناحية الشمال ثم من جهة الجنوب.

وبالنسبة لحملته إلى بلاد النوبة، والتي وصلتنا معلومات عنها من خلال مجموعة للنقوش اليونانية، والتي عثر عليها منقوشة على أحد التماثيل الضخمة للملك رمسيس الثاني في "أبو سمبل" والتي تم ترجمتها كما يلي:

"..... حين جاء بسماتيك (الثاني) إلى الفنتين وكتب هذا بمعرفة من أبحروا من بسماتيك بن ثيوكلس، وقد وصلوا إلى ما وراء كركيس بقدر ما يسمحَ لهم بالنهر.

وكان يقود أولئك الذين يتكلمون بلسان أجنبي بوتاسمتو وأمازيس، وقد عاش أيام بسماتيك الثاني ويشغلان مراكز مرموقة.

وقد سجلت الحملة النوبية كذلك على لوحتين نالهما تشويه كبير، وعثر عليهما في تانيس والكرنك، والأولى مؤرخة بالنسبة الثالثة وتشير إلى حاكم وطني ذبحت قواته، بينما تتحدث الثانية إلى الوصول إلى "بنوبس"، ولكن إن كان مؤكدا بهذه الصورة أن الحملة بهذه الصورة، فلربما يعكس هذا محاولة من جانب مصر لاستعادة نفوذها في بلاد النوبة[1].

أما بخصوص الحملة التي تشير إلى قيام بسماتيك الثاني بحملة إلى بلاد فينيقية، فلا زالت هذه الحملة يكتنفها الغموض، وخاصة بعد أن

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق: ص ٣٩٢.

توقفت مصر عن سياستها الخارجية الإيجابية منذ انصراف والده نكاو الثاني عن تلك السياسة النشطة في تلك الأنحاء، وقد تكون هذه البردية الديموطيقية إشارة إلى بعثة سلمية تهتم بالجانب الاقتصادي بين الجانبين بعد أحداث حملة النوبة المشار إليها.

الملك واح اب رع (أبريس) ٥٨٩-٥٧٠ ق.م:

بوفاة الملك "بسماتيك الثاني" تولى الملك واح اب رع (أبريس) العرش، ويقول هيرودوت أن حكم خمس وعشرين سنة، لكن "مانيتون" يقول أنه حكم لمدة تسع عشرة سنة.

وقد أثبت "هيرودوت" أنه كان إبناً للملك بسماتيك الثاني، والواقع أن تولى أبريس الحكم كان يعد نقطة فاصلة في تاريخ الأسرة من ناحية السياسة الخارجية، حيث عمل على استعادة مكانة مصر مستفيداً من أساطيله وقوته البحرية التي سبق ووضع أساسها الملك نكاو الثاني.

وقد وضحت ملامح سياسته الخارجية بتدخله في فلسطين بمجرد وفاة والده "بسماتيك الثاني"، وكان ابريس شابا طموحا تتوق نفسه للشهرة والمجد الحربي وكان مشتاقا لا متشاق الحسام الذي امتشقه أسلافه من قبل رغبة منه في السيطرة على بلاد فلسطين وطرد البابليين منها، وقد انتهز هذه الفرصة بإرسال رسله إلى أورشليم وحاكمها صدقيا الذي كان يحرض المدن المجاورة للثورة على بابل بتشجيع من مصر، وقد انقسم أهل أرشيم إلى فريقين، فريق بقيادة صدقي يرى التصدي للبابليين بمساعدة من مصر وتأييدها، وفريق آخر تزعمه النبي إرميا يرى مسالمة الكلدانيين (البابليين)، لأن جيش فرعون مصر الذي جاء لمساعدتهم

سوف يعود إلى أرضه أرض مصر، وعندئذ سوف تعاود بابل هجومها وتأخذ المدينة عنوة ويحرقونها بالنار.

وقد أدت بعض الظروف أن ترفع بابل الحصار عن أورشيم عام ٥٨٧ ق.م، ولكن بابل عادت بعد عام لمحاصرة جدران أورشيم، ولما لم تكن تصل إليها أية إمدادات فإن سقوطها لم يكن إلا مسالة زمن قصير، وفي الوقت الذي دافع فيه أهل المدينة عنها ببسالة، كان الخلاف الشديد مستمر بين زعمائهم، وبعد فترة من الحصار وضربات المنجنيق، دخل البابليون المدينة، وأخذ صدقيا أسيراً وأخذ إلى "نبوخذ نصر" الذي كان صبره قد نفذ فأمر بذبح أولاد "صدقياً" على مرأى من والدهم، وكذلك كان مصير كل أولاد الأمراء، وبعد أن أطفأ نور عيني "صدقياً" نفسه أرسله إلى بابل في السلاسل والأغلال، أما مدينة "أورشيم" فقد أصدر الأوامر إلى ضباطه بحرقها إحراقا شاملاً وتدميرها، ومن بقى من سكانها في هذا العام ٥٨٦ ق.م أمر بنفيه إلى بابل مع الغنائم والحلي التي جلبت إلى هناك.

وبعد أورشيم أخذ الملك البالي "نبوخذ نصر" في مهاجمة البلاد الأخرى، غير أنه لم يكن في استطاعته أن يهزم "مدينة صور" ومن الجائز أن ذلك يرجع إلى مساندة مصر لصور وقوة الأسطول المصري الذي ساعد المدينة، التي صمدت أمام الحصار البابلي لمدة ثلاث عشرة سنة، ولم يكن لنبوخذ نصر السفن الكافية للاستيلاء على المدينة، وقد انتهى الأمر برفع الحصار عن المدينة وبقيت صور مملكة مستقلة بذاتها،

وبقيت العلاقة بين مصر وبابل متحرجة، وكان "أبريس" متيقظا من هذه الناحية.

جاء الخطر على الملك ابريس من ناحية الغرب، حيث الصحراء الليبية التي نشأ فيها نزاع بين العناصر الليبية الموجودة غرب مصر والتي تمتد قبائلها حتى تونس الحالية، وبين جماعات وافدة من الإغريق استقبلها الأهالي من اللوبيين بشفقة وزوجوهم من بناتهم وأسس الإغريق مدينة قرينة Yrene، على أطراف إقليم خصب ترويه عيون غزيرة، وبمرور الوقت جاءت مجموعة جديدة من الدوريين الإغريق، مما جعل بني جلدتهم من الإغريق يقوموا بنزع ملكية أراضي الأهالي المواطنين، الذين كانوا في ضيق من العناصر الإغريقية، فدب النزاع والقتال بين الفريقين، وعندما رأت العناصر الوطنية من قبائل (اللوبيين) أنهم لا يقوون على مقاومة الجنود الإغريق لجأوا بدورهم إلى مساعدة فرعون مصر "أبريس"، الذي كان علة استعداد للقيام بهذه المساعدة، وبخاصة لما سمعه عن ثروة هذه البلاد وما سيناله من مغانم هناك.

والواقع أن شره ابريس كان حافزا له أن يقوم بهذا العمل، وإزاء معلوماته عن تفوق الأسطول الإغريقي ووعورة الطرق والقبائل المتناحرة الثائرة، ولكنه عندما علم أنه يمكنه أن يعتمد على مساعدة اللوبيين أنفسهم فإنه لم يتردد في تحمل مخاطر الغزوة، ورأى ابريس بثاقب فكرة ألا يستعمل جنود من الإغريق لمحاربة إخوانهم الإغريق الموجودين في الغرب، لذلك فإنه كون جيشاً من احتياطية من المصريين وحدهم دون العناصر الإغريقية، والواقع أن الجنود المصريين كانوا

فرحين بتلك الفرصة السانحة ليقنعـوا ملوكـهم بأنـهم مخطئيـن فـي استخدامهم أجانب وتفضيلهم عن الجيش الوطني.

غير أنه مما يؤسف له أن الدائرة دارت على الجيش المصري في هذه المعركة، ووقع في كمين وهزموا هزيمة كبيرة عند "أراسا" القريبـة من "عين تستي" المجاورة لمدينة قوريني (قرنية)، وعند انسحاب الجيـش هلك منه الكثيرون ولم يصل إلى حدود الدلتا سالما منه إلا عدد قليل.

وعندما وصل الفارون ونار الهزيمة مشتعلة في نفوسهم، ادعـوا بطبيعة الحال أن الهزيمة كان سببها الخيانة، وقد وجدوا من يشـاطرهم الرأي من الأهالي، فادعوا أن الفرعون قد أرسلهم بقصد أن يتخلص منهم في ميدان القتال، بسبب تفضيله للعنصر الإغريقي المرتزق في جيشـه، وعندما علم الفرعون بذلك العصيان والتذمر فإنه أرسل إليهم أحد قـواد الجيش "أحمس" لتهدئة الأحوال، ولكنه انضم إلى الثائرين، ودارت معركة بين الثائرين بقيادة "أحمس"، والملك "أبريس" ومعه المرتزقة من الإغريق عند بلدة ماريا كما يقول "ديودور الصقلي" وقد كان من نتائج المعركـة أخذ "أبريس" أسيراً، وقد عامله أحمس معاملة طيبة وأشركه معـه فـي الحكم، ولكن الأهالي ألحوا في طلب إعدامه، ممـا اضطـر "أحمـس" (أمازيس) أن يسلمه لهم لينتقموا منه، فشنقه الشعب الثائر، ومع ذلك دفن في احتفال مهيب(١).

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ١٢، ص ٢٤٨- ٢٦٠.

وكذا:

هيرووت: المرجع السابق، ص ٢٩٥- ٢٩٦.

الملك أحمس الثاني "أمازيس" "خنم اب رع": ٥٧٠- ٥٢٦ ق.م:

لم تختلف الآراء على المدة التي حكمها أحمس الثاني (أمـــازيس كما يطلق عليه الإغريق) فقد اتفق الجميع أنه حكم أربع وأربعين ســـنة وهو ما تشير عليه الآثار ونقوش وادي الحمامات.

كانت الحالة بين الأهالي من المصريين والعناصر الإغريقية تنذر بالخطر بسبب المشاعر المتأججة نتيجة الامتيازات العديدة التي يحصـــل عليها الإغريق سواء من ناحية العمل كجنـــد للفرعـــون، أو المكاســـب التجارية والاجتماعي، وقد تميز أحمس الثاني بالحكمـــة والرزانـــة فـــي معالجة الوضع الداخلي الناشب عن سوء العلاقة واختلاف العادات بيـــن كل من مصر والإغريق، وقد ساعد على وضع العلاج الداخلي ما يتمتـــع به من روح الدعابة وحب للحياة واللهو[١].

وكان الإغريق قد استوطنوا داخل البلاد وفي كثير من المنـــاطق الساحلية حيث كان لهم أحواض وسفن، غير أماكن عديدة للتجارة في كل مكان مما ضيق الرزق على المصريين، وقد منح الفرعـــون "أمـــازيس" مدينة نقراش "وتسمى الآن كوم جعيف على الفرع الكانوبي للنيل" وكانت مقراً تجارياً أسسه الإغريق من قبل، وكان للإغريق بها معابد مكرســـة لآلهتهم الخاصة، (وقد فقدت هـــذه المدينـــة أهميتـــها عندمـــا أسســـت

---

(١) من المعتقد أن هيرودوت قد بالغ في وصفه أمازيس قبل تولية العـــرش بأنـــه يحـــب الشرب والمزاج ولم يكن رجل جد ونشاط، وكان يميل إلى حياة المجون والسرقة، كمـــا وصفه بأنه اهتم بالآلهة وعدم الإساءة غليها، وهي صفة حميدة تدل على صدق الرجـــل وجودة معدنه وكمال مروءته، انظر:

هيرودوت:المرجع السابق، الفصل ١٧٤، ص ٣٠٦.

الإسكندرية)، ومن المؤكد أن أمازيس كان أول من وضع هـذا النظـام التجاري، زكما ذكر هيرودوت فقد كان من جراء منـح أمـازيس بلـدة نقراطيس هذا الامتياز أنه كان ينظر غليها فيها على أنه حاميها، غير أن عمله هذا كان في الواقع تضيق للحصار على نفـوذ الإغريـق، وذلـك بجعلهم لا يدخلون إلا ميناء واحدة بمعاهدة بينه وبينهم(١)، وبذلك أعطـى الحرية للتجار المصريين في التجول بحرية في باقي المدن، بينما اقتصر دور الإغريق في تجارة الجملة من خلال ميناء وحيد هو نقراش.

وبذلك قلل من أهمية "نوقراطيس" التي كانت الميناء الوحيد ولـم يكن بمصر غيرها وكان إذ بلغ أحد مداخل مصب آخر من مصاب النيل وجب عليه أن يقسم أنه لم يأت برغبته، ولذا يتحتم عليه أن ينقل بضاعته في قوارب مصرية حتى يصـل إلـى نوقراطيـس صاحبـة المكانـة الممتازة(٢).

ويقال أن مصر كانت تحت حكم أمازيس على درجة عظيمة جدا من الازدهار والرخاء، وذلك نتيجة لما جاء به النيل على الأرض مـن طمي، وما جاءت به الأرض على الناس من خير.

كما كان أمازيس هو واضع القانون الـذي يفـرض علـى كـل مصري أن يبين سنويا مورد عيشة لحاكم الإقليم، ومن لا يفعل ذلك، ولم يثبت أنه يعيش عيشة مشروعة كان عقابه الموت، ويعني هذا أنه كـان لكل ناحية حاكم مسئول أيضاً، ومما يدل على دقة النظـام الإداري فـي

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٢) هيرودوت: المرجع السابق، ج١٧، ص٣١١.

مصر في تلك الفترة، وقد جاء ذكر "أمازيس" كمشروع للقوانين إذ يذكره "ديودور الصقلي": بعد بوخوريس يقولون (أي المصريين) أن ملكهم أمازيس قد وجه عنايته للقوانين، وهي التي على مداها وضع القواعد التي يحكم بمقتضاها حكام المقاطعات وتسير على نهجها كل الإدارة المصرية، ويقال أن "صولون" الأثيني قد نقل جانب الضرائب في هذا القانون عن المصريين ووضعه في بلاد اليونان[1].

وكان أمازيس مجاملاً لليونانيين ويقال أنه قد تزوج منهم، في الوقت الذي كان يراعى مصالح المواطنين المصريين، وفي الوقت الذي اشتد خطر الفرس على الشرق القريب فأرضى الشعور الوطني بأن أمر بسحب القوات الإغريقية من حاميات الحدود، وأسكنهم في أحياء خاصة من منف التي عاد إليها دور العاصمة الأولى، ليكون هؤلاء الإغريق الأجانب تحت رقابة بلاطه وليكونوا قلة في مجموع منف الكبير[2].

وهناك نص موجود بالمتحف البريطاني مكتوب بالمسمارية يشير إلى أنه حدثت في العام السابع والثلاثين من حكم نبوخذ نصر ٥٦٧ ق.م بعض العمليات الحربية ضد أمازيس، ولكن يبدو أن الظروف قد خدمت الملك المصري الذي قدم هدايا إلى الملك البابلي حيث لا يبدو من المحتمل أن مصر وبابل قد دخلتا في صراع مع بعضها البعض في هذه المرحلة أو فيما بعد، وخاصة أن الملك البابلي "نبوخذ نصر" قد خلفه ثلاثة من الملوك الضعاف.

---

(١) نفس المرج السابق، ص ٢١٠.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٠٧.

ومن ناحية الغرب فقد حقق أمازيس معاهدة سلام مـع برقـة[1]، وبالنسبة لجزيرة قبرص في شرق حوض البحر المتوسط حوالي ٤٠ ميل جنوبي تركيا، ٦٠ ميل غرب الساحل السوري حوالي ١٠٠كم من أقـرب نقطة عند رأس الشمرة، ٢٥٠ ميل شمالي نيل الدلتا، ولمـا تمتـاز بـه الجزيرة في العصور القديمة من وفرة ما فيها مـن الأحجـار الكريمـة والمعادن وخاصة النحاس، وثرواتها الزراعية مـن الحبـوب والكـروم وأشجار الزيتون، والغابات وما فيها من أخشاب، هذا فضلاً عن موقعـها الاستراتيجي وسيطرتها على مداخل التجارة ومداخل الهجرات التي يمكن أن تهدد الأمن المصري، مما جعلها تخضع للسيادة المصريـة فـترات طويلة، وبعد أفول مجد مصر الحربي خضعت للسيادة الآشورية، وعندما انهارت الإمبراطورية الآشورية ودمرت عاصمتها حوالـي ٦١٢ ق.م، عادت قبرص من جديد السيادة المصرية حينما استطاع الفرعون "أحمس الثاني" حوالي ٥٦٨ ق.م السيطرة على الجزيرة ذات الموقع الإستراتيجي والاقتصادي[2].

وتشير المصادر الأثرية إلى الكثير من المعلومات عـن أسـرة الفرعون "أمازيس" وبعض رجال عهده، وتشير في عجالـة إلـى أحـد عظماء الرجال في تلك الفترة وهو "الكاهن بسماتيك" وقد عثر له علـى

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق: ص ٣٩٤.

(٢) محمد علي سعد الله: قبرص بين السيادة المصرية والآشورية القديمة، مجلة المـؤرخ العربي، العدد الثامن، المجلد الأول، ٢٠٠٠، ص ٢٤٠.

وكذا:

Wain Wright, G.A., Alashia,= Alasa, and Asy, Leipzig, 1915, p. 2 ff.

بعض لوحات صغيرة محفوظة الآن بمتحف ليدن، وقد نقلها وعلق عليها الأثري الإنجليزي "جيمس هنري برستد" وتنحصر قيمة هذه اللوحات فيما تقدمه لنا من معلومات تختص بتأريخ هذا العصر.

ومن تواريخ هذه اللوحات أصبح في الاستطاعة تحديد مدة حكم الأسرة السادسة والعشرين وكذلك طول مدة حكم الملك ابريس التي تقدر بنحو تسعة عشرة عاماً، حيث بلغ عمر "بسماتيك" عند وفاته خمس وستين عاماً وعشرة شهور، في السنة السابعة والعشرين من حكم الملك "أحمس الثاني (أمازيس)"[١].

وأخيراً تنتهي الأسرة السادسة والعشرين بعد وفاة الملك "أحمس الثاني" عام ٥٢٥ ودفنه في مسقط رأسه بمدينة سايس، وتولى آخر ملوك الأسرة الملك بسماتيك الثالث (كا-عن-ني-رع) ٥٢٦-٥٢٥ ق.م.

الذي تولى الحكم لفترة قدرها "مانيتون" شهور فقط، كانت نذر الخطر تأتي من بلاد فارس الواقعة على طول الجانب الشرقي للخليج العربي (الفارسي) قديماً وتمتد امتداداً كبيراً إلى الداخل بعاصمتها "برسوبوليس".

وقد خرجت من تلك البيئة الجبلية أسرة أخمينية آرية برز فيها قيروش الثاني حوالي (٥٥٨-٥٢٩ ق.م) نجح في اجتياح ميديا وعاصمتها اكبتانا التي تقع في منتصف الطريق بين سوسة وبحر قزوين، ثم اجتاح ليديا وبذلك أصبحت مدن الشاطئ الأيوني تحت رحمة الحاكم الفارسي، ثم استولت فارس على بابل وأبقت على حياة ملكها نابونيد عام

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٩٦.

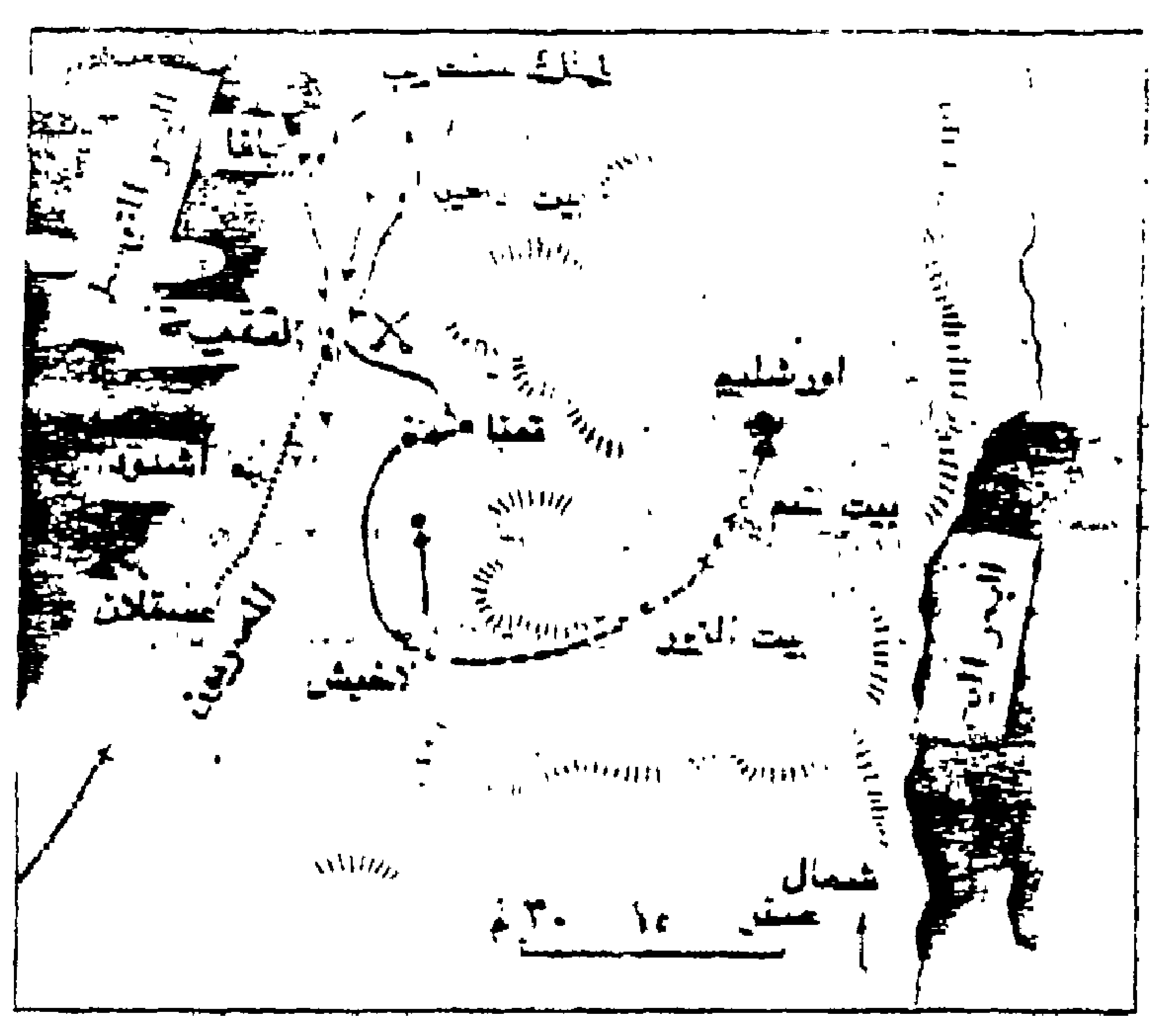
٥٣٩ ق.م، وقبل وفاته عهد إلى ابنه قمبيز بغزو مصر وتوفى عام ٥٢٩ ق.م.

وانشغل قمبيز بمشاكل وراثة العرش طيلة ثلاث سنوات، في الوقت الذي استقلت قبرص عن سيادة مصر في نهاية حكم "أحمس الثاني" (أمازيس) الذي توفى عام ٥٢٦ ق.م[1]، قبل أن تحل الكارثة، وتتعرض مصر لاحتلال فارسي في عهد ابنه "بسماتيك الثالث".

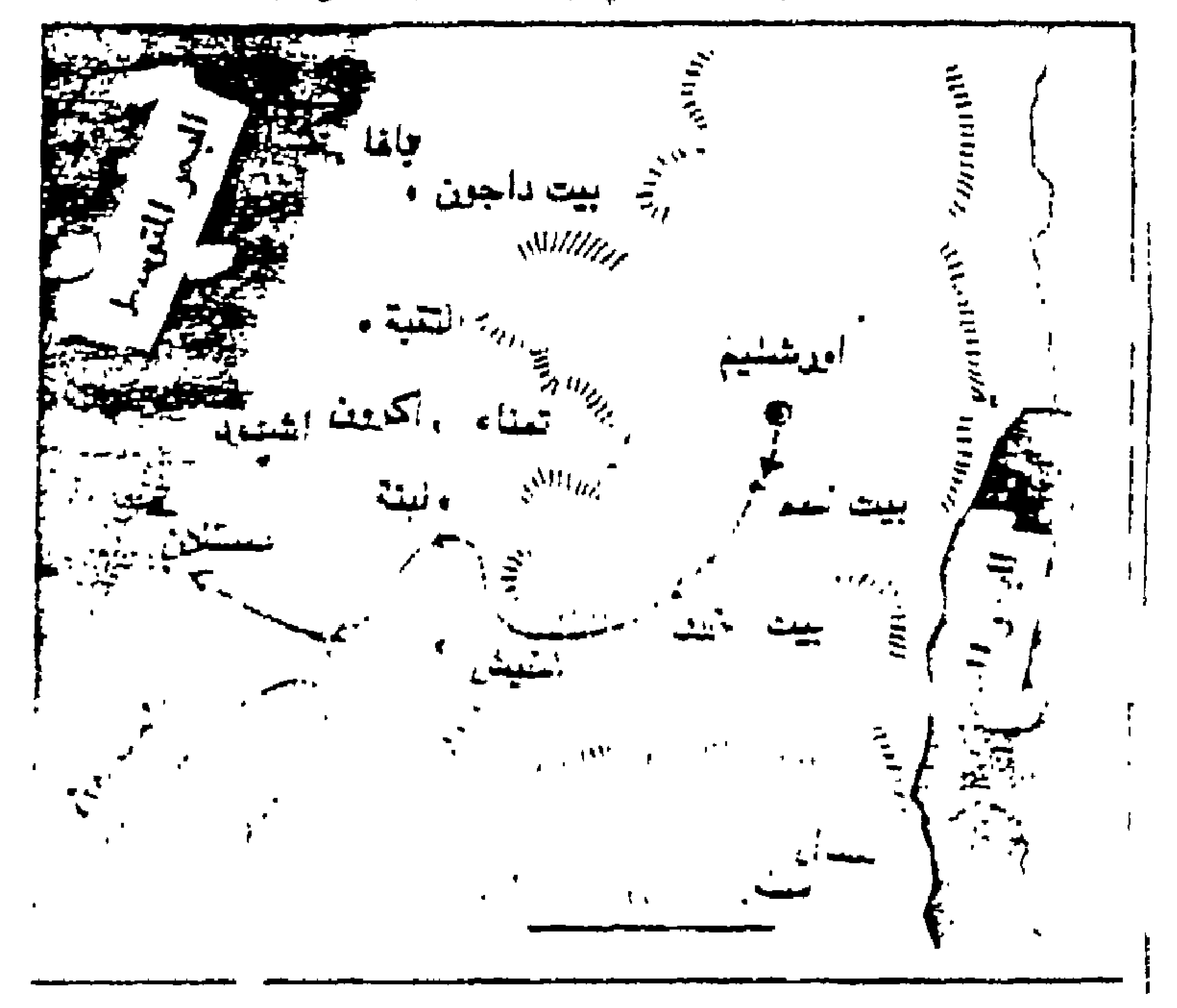
وقد ساعد "قمبيز" على شق طريقه الوعرة في صحراء شبه جزيرة سيناء أحد قواد جيش الملك من الجنود المرتزقة، يدعى "فسانيس" كان قد فر إلى معسكر الفرس، مما مكنهم أن يتعرضوا على طرق المواصلات والحصون والمسالك إلى شرق الدلتا، ثم وقعت معركة بين الجيشين الفارسي والمصري انتصر فيها الفرس عام ٥٢٥ عند بلدة "بليزيوم" انتهت بانسحاب المصريين إلى منف التي سقطت بعد حصار دام فترة من الوقت، واقتيد أسيراً إلى الملك الفارسي "بسماتيك"، ويقال أن قمبيز قد تركه لشأنه، ولكن الملك الفارسي اكتشف بعد فترة أنه يحرض المصريين على الثورة فقتله، وهي تتفق مع رواية "هيرودوت" عن نهاية الملك "بسماتيك الثالث" آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين.

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٩٦.



١- انتصار القوات الأشورية في موقعة التقة والزحف على أورشليم .



خريطة موقعة التكة والزحف على أورشليم

المصدر: نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص ٤٤٩.

الفصل السادس

الأسرة السبعة والعشرون ونهاية الأسرات

الأسرة السابعة والعشرون
ونهاية الأسرات[1]

انتقلت مصر إلى أيدي الفرس الذين يمثلـــون الأســـرة الســـابعة والعشرين لدى مانيتون حيث نجح قمبيز في الاستيلاء على الفرما ومنف وهزيمة بسماتيك الثالث بمساعدة أحد المرتزقة اليونانيين الخونة ويدعـــى (فانيس).

ولم يستغرق حكم قمبيز أكثر من ثلاث سنوات أخرى ولم يوقـــف فى أية حملات أخرى فكر فى القيام بها، فالحملة ضد القرطاجيين انتــهت إلى غير نتيجة لأن الفينيقيين أبوا أن يحاربوا ضد أبناء بلدتـــــهم، امـــا الحملة التى حفزت إليها مطامع أكبر ضد الأثيوبيين والتي أســـهم فيـــها قمبيز بشخصه ففشلت فشلاً ذريعاً بسبب الإهمال فــــى أعدادهـــا، وأمـــا القوات التى أرسلت عبر الصحراء إلى الواحــــة التــى استشـــار فيـــها الاسكندر الأكبر بعد ذلك بقرنين وحى أمون (واحة سيوة) فقـــد أغرقـــها طوفان عاصفة رملية فلم يظهر لها أثر وقد بلغ غضب قمبيز مـــن هـــذا الفشل مداه ويقال أنه أدى به إلى الجنون ومع ذلـــك فإنـــه اســـتطاع أن يستحوذ على مصر كلها، ويشير هيرودوت إلى- أن قمبيز كان وحشـــاً يتسم بالقسوة وعدم التقوى وأن جنونه وصل به إلى ذروته بقتل العجـــل المقدس أبيس ومع ذلك فإن هذا الأمر بعيد الاحتمال كنتيجة لدليل مستقي من السرابيوم فهناك عجلان مقدسان سجل موتهما فى عهده وسجل علـــى

---

(١) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٣٩٧.

نقوش أحد توابيتهما أن الذى كرسهما لهذا الأمر هو الملك الفارسى نفسه، والواقع أن الوثيقة اليهودية المؤرخة بعام ٤٠٧ ق. م تتحدث عن تدمير كل معابد آلهة مصر فى عهد قمبيز ولكن علينا ان نــدرك ان السمعة السيئة لهذا الملك كانت قد بلغت إذ ذاك مداها من الانتشار، وقد يعــزى ماتم من خسارة فى هذه الناحية إلى الكف عن تقديم المنح الرسمية المادية التى كانت سارية من قبل، وسنرى أن موظفاً كبيراً يقدم وجهة نظر أقل قسوة بالنسبة لهذا الغازى وقد حرص هذا الموظف على أن يسجل احتفاظه بما أسدى إليه من معروف ببقائه في منصبه الهام خلال الحكم التالي، وقد تركت مصر عند عودة "قمبيز" إلى آسيا فى عــلم ٥٢٢ ق.م، تحت إمرة الحاكم (ستراب) هو أرياندس الذى اتهم فيما بعد بالخيانة وعدم الولاء فأعدم(٢).

وفى الوقت نفسه ادعى "جاوماتا" الماجى أنــه سمردس الحقيقي وكسب أعواناً كثيرين فى أنحاء الأقاليم الفارسية. والروايات متباينة فيما يتصل بقمبيز على العرش الذى ربما حدث عند عودته إلى بلاده ليحارب المدعى وقد انتقل العرش إلى "دارا الأول"، وهو أحد أفراد أسرة كيروش وتم تنظيم الإمبراطورية الفارسية خلال حكمه الطويل الذى بلغ ستا وثلاثين سنة (٥٢١-٤٨٦ ق. م) بإدارة بالغة الكمال ومع ذلك فإنه قلما نعرف شيئاً عن الأحداث فى مصر خلال هذه المرحلة، وقد شغلت ســنة حكمه الأول بقمع مشوب بالقسوة للثورات والاضطرابات التى نشبت فى أعقاب مذبحة لعلوه جاوماتا فى فارس ولم يكن فى استطاعته أن يقوم بزيارة لمصر إلا

---

(٢) آلان جاردنر: المرجع السابق.

حين حل عام ٥١٧ ق.م أو حول ذلك، ولعل مما له أهمية على أية حلى من ناحية الاشارة إلى اهتمامه بالحضارة القديمة للبلد الذى أصبح واقعا تحت حكمه أنه أرسل إلى "ستراب" فى عامه الثالث يأمره بأن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنها وكتابها ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى عام ٤٤ من حكم أماسيس وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر، وليس هناك ما يدعو للشك فى صحة هذا الأمر الملكى وإن كنا لا نعرفه إلا من نسخة متأخرة جداً على خلفية بردية ديموطيقية تحوى متنوعات، والواقع أنها تؤكد ما يرويه ديودور (١: ٩٥) عن دارا من أنه يعد من بين أكبر من شرعوا القانون فى مصر، ويعدل هذا الأمر فى الأهمية تلك المعلومات التى نستقيها من عدد ضخم من اللوحات تؤكد ما يرويه هيرودوت (٢-١٥٨، ٤: ٣٩) عن إتمام دارا للقناة التى توصل النيل بالبحر الأحمر، وكان نكاو قد اضطر للتخلى عن المشروع ولكن دارا لم يقم بإصلاح القناة كلها فحسب بل استطاع كذلك أن يوجه فيها أربع وعشرين سفينة محملة بالجزية إلى فارس، وقد أقيمت اللوحات التى تخلد ذلك الأمر على مراحل على طول ضفتى القناة مكتوبة بالهيروغليفية وبالمسمارية وإن كانت فى حالة تدعو للأسى ولكنها تروى القصة بصورة لا يمكن ان تخطئها وهناك أكثر من دليل يشير إلى أن دارا أتبع فى حكمه لمصر مبدأ اصطناع شرعيته كفرعون يتابع تنفيذ مشروعات أسلافه الساويين وهو وحده من بين ملوك الفرس تابع أعمال التشييد فى معابد الآلهة المصريين، فإقامة المعبد الضخم المحفوظ جيدا حتى الآن وهو معبد آمون فى واحة الخارجة ترجع إليه وحده تقريباً، وهو يصطنع هنا- كما فعل قمبيز من قبل- الألقاب الفرعونية الكاملة، وهناك قائد كانت مهمته أن

يستدعى عمد البلاد ليحضروا الهدايا لتحنيط العجل أبيس وكان يحمل نفس اسم الملك أمازيس مسجلة فى خرطوش وإن كانت اللوحة تشير إلى الغزو، وهناك كذلك خنم ايب رع المشرف على الأعمال فى الأرض قاطبة كان لقبه مماثلا لنفس اسم الملك، وتتتابع نقوشه الصخرية الكثيرة فى واى الحمامات من آخر سنة حكم "أمازيس" حتى العام الثلاثين من حكم دارا، ولكن التخليد الوحيد بالهيروغليفية عن كل العصر الفارسى، هو ما نعده فى سيرة حياة أحد، الأفراد وهو نقش على تمثال جميل فى الفاتيكان كان يصاحبه "أودجاحارسنه" قائداً للسفن التي ترتحل فى البحر في عهدي أمازيس وبسماتيك الثالث ولكن رواية عمله التالي تبدأ بوصول الفرس إلى بلاده.

"وجاء إلى مصر الرئيس الكبير لكل بلد أجنبية، قمبيز، وكان معه الأجانب من كل البلاد وحين تملك الأرض كلها -استقروا هنالك حتى يصبح الحاكم العظيم لمصر والرئيس العظيم لكل بلد أجنبي وأمرني جلالته أن أكون كبير الأطباء وعينني إلى جانبه كرفيق ومدير للقصر وجعلت كنيته في لقبه كملك لمصر العليا والسفلى مسوتي رع وجعلته يعرف عظمة سايسس التي هى مصر نيت العظمى الأم التي ولدت رع والتي كانت أول من بدأت الولادة بعد أن لم تكن هناك ولادة".

والفكرة التي تضمنتها الكلمات الأخيرة، تتوسع بسبب ذكر المعبد الفعلي لنيت وكذا مصليات أخرى فيما كانت تعرف بالعاصمة الساوية، ثم يتابع المتحدث قوله في ناحية أخرى من التمثال:

"قدمت ملتمسا إلى جلالة ملك مصر العليا والسفلى قمبيز يتصل بأولئك الأجانب الذين استقروا في معبد نيت وأمر جلالته أن يبعدوا عنه

وأن يغزو معبد نيت كما كان من قبل ويطرد من المعبد كـــل الأجـــانب المستقرين وأن تهدم بيوتهم الموجودة في أحواشه وأن يلقـــي بمتاعـــهم خارج أسواره وأمر جلالته بأن ينظف معبد نيت وأن يحل به ناسة مـــع كهانة المعبد وأمر جلالته بأن ينظف معبد نيت وأن يحل به ناســـة مـــع كهانة المعبد وأمر جلالته أن يمنح الإيرادات إلى نيت العظمى أم الإلـــه وكذا الآلهة العظام الذين في سايس كما كانت الحال من قبل وأمر جلالته أن تقام الأعياد والاحتفالات والمواكب التي كانت تقام من قبـــل. وفعـــل جلالته هذا كله لأنني جعلت يقدر عظمة سايس، أنها مدينة كـــل الآلهـــة وهم يستقرون فوق عروشهم فيها إلى الأبد".

ومن الطبيعى أن "أودجاحارسنه " اهتم فقط بأن يباهى بنفوذه على مولاه الجديد ولكن ليس هناك ما يدعونا للشك فى أن قمبيز رغب- حيـن راقه الأمر- أن يمجد آلهة مصر ويشير النص إلى أنه تقدم الربة وأظهر خشوعه أمامها كما كان يفعل كل ملك من قبل ثم أقام لها وليمة بعد ذلك- ومن الواضح أنه رغم التحيز البين فى هذه الفقرات فإنها يجب ان نوضع مقابل اللعنات والشتائم التى يعد هيرودوت مسئولا عنـــها، وأنـــا لـــنرى أودحاحارسنة يمس مسا خفيفا أمر "الاضطراب الشديد الذى حـــل بكـــل أرض مصر" ولكن هناك ما هو أدعى لإثارة الانتباه فى هذا النص الفريد وان كان يكفى هنا أن نشير إشارة موجزة إلى بيت الحياة (مدرسة للعلـم) التى أرسل "دارا"- وهو فى عيلام- أودجاحارسنة ليعيـــد تأسيســـه فـــى مصر وقد أمر أن يمون بالموظفين فن أصحاب المراكز على ألا يكـــون من بينهم رجل فقير" ومن الواضح أن أودجاجارسنة صلتـــه بـــالادارت

المتصلة بالطب فهو لم يكن كبير الأطباء فحسب بل أن النص يشير إلى هدف الـ "سكربتوريا" الذى كان عليه تأسيسه بأنه لإحياء كل ما هو معتل" وعلى أية حال فإن هذه الجمل تكشف من جديد عن الطريقة المسيرة التى مارس بها دارا واجباته كملك على مصر فهو لم يكن مجرد طاغية تواق للسلطان برضى بأن يترك شئون ولاياته فى أيدى ولاته.

وهناك بردية ديموطيقية كبيرة عثر عليها فى الحيبة استطاع "جريفث" أن يفك رموزها بصورة تدعو للإعجاب وهى تعلل النص السابق أهمية من ناحية تاريخ تلك المرحلة، وان كانت من طبيعة تختلف تماما عنه، والبردية عبارة عن شكاية ربما كتبها فى العام التاسع من حكم دارا كاتب متقدم فى السن من أحد المعابد يدعى بتيزة، وهو يشكو من أضرار حاقت به وبأسرته فيما يتصل بكهانه آمون فى موطنه تويد زوى (الحيبة) وكذا فيما يتصل بكهانة آلهة أخرين حملوا معهم الموارد الرئيسية، والقصة التى يرويها بتيزة بالغة النعقيد والارتباك كما ان الأحداث التى يرويها نرجع إلى ما قبل ذلك بمائة وخمسين سنة إلى السنة الرابعة من عهد بسماتيك الأول، وكان سلفه من ذلك الاسم يحمل اسمه نفسه وقد رمم المعبد" المهدم لآمون بالإنابة عن ابن عمه وهو بتيزة آخر كان رئيس الأسطول يقيم فى هركليوبوليس ماجنا وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا وقد أسندت إلى بتيزة الأول كل الكهانات المذكورة مكافأة له على هذه الخدمات، ولكن خلفا له بعد أربعة أجيال كانت له قضية قائمة نتصل بجريمة قتل وسجن وكان له العديد من الأعداء من ذوى الشخصيات نجحوا من وقت لآخر بمعونة السلطات العليا القائمة في أن

يحرموا أسرة بتيزة من حقوقها وقد عاونهم في ذلك آخرون وصفوا عادة بأنهم "الكهنة" ولسنا نستطيع هنا أن نقوم بمحاولة لتقييم الدقة التاريخيـــة لهذا كله ولكن مما ليس يحتمل الجدل أن العالم الذى تتناوله البردية كــان عالم اختلاس وابتزاز وفساد. وهناك إشارة تتصل بمصدر آخــر تذكــر رئيس الأسطول نفسه التقينا بها من قبل عند الحديث عن الترتيبات لرحلة زوجة الإله "نيتوكريس" إلى طيبة، وبقدر ما كان حكم "دارا" يتسم بالتعقل والاستنارة فإن إمبراطوريته بلغت من الاتساع حدا لا يسمح بأن تظـــهر عليها على الفور علامات القابلية للإنكسار، وقد ثارت المدن الأيونية فى عام ٤٩٩ ق. م وأصبح الأمر أمر وقت لتقـــوم الحــرب بيــن فــارس واليونانيين الغربيين بعد أن قدمت أثينا وأرتريا العون لهذه المدن الثــائرة ولم تلبث الهزيمة المدوية لـــ"أرتافرنيس" ابن أخ داريوس فى مـــاراثون (٤٩٠ ق. م) أن أدت إلى انعكاس خطير فى الشرق الأوسط كله، ففـــي عام ٤٨٦ ق. م. ثار المصريون ولم يقدر لثورتهم ان تخمد نهائيا حتـــى العام الثانى من حكم اكزركسيس الذى خلف اباه قرابة نهاية عـــام ٤٨٥ ق. م ويروى هيرودوت أن الحاكم الجديد أنزل مصر إلـــى لـــون مـــن الإستعباد أقصى مما عرفته في عهد دارا ولسنا فى حاجة إلى القول بـــأن اكزركسيس أفاد من سلطانه هناك ليبلغ أهدافه فقد لعب أسطولي مصـــوي ضخم دورا هاما من قبل مع التي سعى من ورائها للإنتقام من اليونـــانيين ولم يفعل اكزركسيس سوى القليل- بل لم يفعل شيئا- لصالح المصريـــين أنفسهم، وآثار العهد تكاد تكون بكماء، فلم تبنى معابد ولم يستخدم ســـوى قلة من المصريين ويبدو أن مصر العليا كانت هادئة تماما خـــلال تلـــك

السنوات ونستطيع أن ندرك ذلك من ورء زيارات متعاقبة كان يقوم بها فارسي على فترات إلى وادي الحمامات بدأت للمرة الأولى من العام السادس من حكم "قمبيز" واستمرت حتى للعام الثاني عشر من اكزركسيس، وهو يشير إلى شخصه بوصفه حاكم فقط وربما كان مكلفا لحماية الطريق إلى البحر الأحمر، وقد قام أخوه الأصغر من بعده بزيارت مماثلة في عهد اكزركسيس وأضاف إلى إلى اسمه الفارسي الاسم المصري الصميم "زيحو".

وقد حدثت حوالي هذه الفترة تغيرات كبيرة في حضارة أرض الفراعة التي ظلت حتى إذ ذاك تسير على وتيرة واحدة تقريبا،وكان الأهلون– كما كانت الحال من قبل– يمارسون أعمالهم الشخصية بلغتهم مستخمين في ذلم أسلوب الكتابة الذي عرفا اليونان تحت اسم "أنكوريالي" أو "ديموطيقي" وكانت مصر حتى الآن –في ما يتصل بالحكومة– أبعد أقاليم امبراطورية أجنبية كبيرة وقد ترك الملك الفارسي الحاكم، المقيم في سوسة أو بابل الإدارة الحقيقية في يد حاكم محلي يعرف بـ"ستراب" (والي) وقد استخدمت الآرامية لغة وكتابة في كل الشئون المكتبية، وكلمة آرامية اصطلاح سامي شمالي استطاع أن يمتد إلى ميزوبوتاميا مع المسببين هناك مثل اليهود المنفيين الذين سمح لهم كيروش أن يعودوا إلى موطنهم الأصلي، وقد حل هذا المصطلح تماما محل العبرانية في فلسطين، وليس لنا أن نتخيل أن استخدام الآرامية في مصر كان مقصورا على اليهود وإن كانت هذه الإنطباعة قد يدعو إليها ما عثر عليها من العديد البرديات الكثيرة في مدينة الفانتين شمال الجندل الأول مباشرة،

والحق يقال أن الأشخاص الذين تناولهم الحديث فيها كـــانوا جميعـــا أو معظمهم يهودا، ولكنهم كانوا ايضا أعضاء في حامية الحدود ومـــن ثـــم فإنهم يعملون في خدمة النظام الفارسي. ولعل أكثر الأدلة ابانة على أيـــة حال*أن الآرامية كانت هي الوسيط في تنفيـــذ أوامـــر الإدارة الفارســـية مجموعة من الخطابات وجه معظمها الوالي الفارسي الذي كان يباشـــر سلطاته خلال كل الربع الأخير من القرن الخامس الى أتباعه في مصـــر. وقد صدرت هذه الخطابات المكتوبة على الجلد من مقر الوالي الذي ربما كان مدينة منف، وقد اشتراها تاجر لم يستطع أو لم يشأ أن يكشف عـــن المكان الذى عثر عليها فيه.

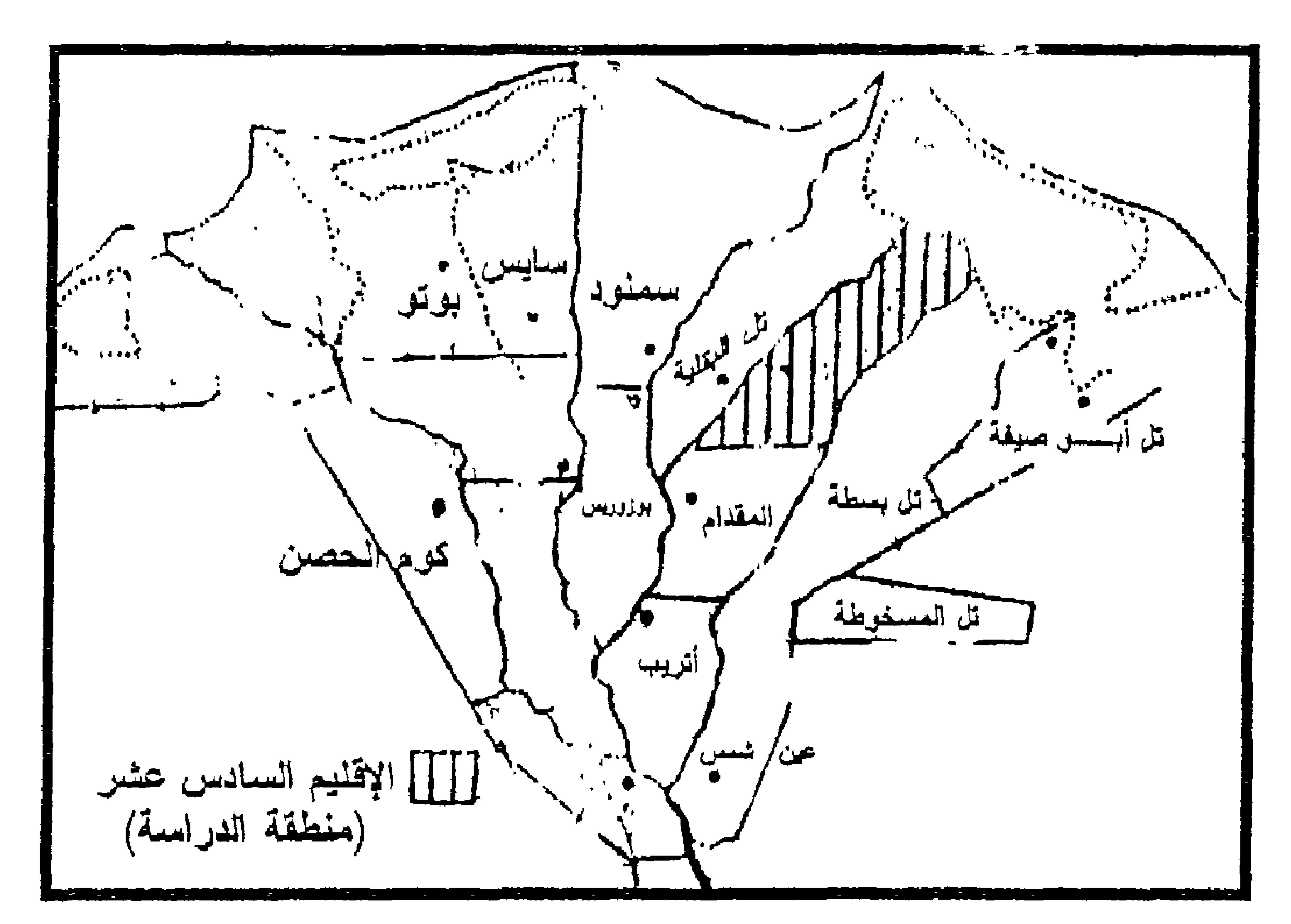
ولسنَ نعرف سوى القليل أبعد من ذلك عن مصـــر فـــي القـــرن الخمس عن غير طريق المؤرخين اليونانيين الذين لا نجد في رواياتـــهم سوى ما يتصل بعلاقاتها بالأثينيين وقد أعقب الاضطرابات التـــي تلـــت مقتل اكزركسيس الأول (٤٦٥ق.م) شغب شديد في شمال غرب الدلتـــا. فقد ثار -ايناروس بن بسماتيك والاسمان مصريان وإن كان ثيوســـيدس يطلق عليه لقب ملك الليبيين- وجعل من حصن ماريا الذي لا يبعد كثيرا عن الإسكندرية قاعدة لهم، وقد حدث أول صدام بالفرس عند بـــابريمس وهو مكان لا يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال، وقـــد هزمت القوة التي تحركت تحت إمرة الوالي أخمنيس -شقيق اركزيـــس- وقتل هو، وأما بقية الجيش فانسحبت إلى منف وتحصنت بها واســـتطاع ايناروس بذلك أن يضع يده على الدلتا كلها ولكنه يبدو أنه لم يعلن نفســـه ملكا، وكان الخلاص الذي لا مناص منه من الحكـــم الفارســـي يـــراود

النفوس من بعيد، وقد سعة ايناروش إلى تحقيقه عن طريق التماس عون الآثينيين الذين كانوا قد تفوقوا في حروبهم ضد الفرس في قبرص، وقد تم عن طريق هذا العون الاستيلاء على ثلثي منف أو "الحائط الأبيض....." كما أشار إليها ثيوسيدس عن حق- ولكن الثالث الباقى ظل فى قبضة الفرس حتى تمكن القائد الفارسى ميجابيزوس أن يرد المحاصرين الذين وجدوا أنفسهم محاصرين في جزيرة في المستنقعات تدعى "بروزبيتس" ولكن نصر ميجابيزوس لم يتحقق حتى عام ٤٥٤ق. م وقد استطاعت قلة من الاثنين أن تهرب كما أمكن القضاء على عدد من السفن جاءت متأخرة لتمديد المساعدة، وقد سقط ايناروس نفسه فى أيدى الفرس ثم صلب، ومع ذلك فإن هذه لم تكن خاتمة الثورة فقد ظل أحد القادة فى اقصى الركن الغربى من الدلتا، وقد استدعى بدوره الاثينيين من جديد ليعاونوه وتحركت بعض سفنهم فعلا، ولكن موت القائد اليونانى "سيمون" فى قرص كان سببا فى عودتها. وقد أعلنت الهدنة عقب ذلك بين أثينا وفارس وانتهى أمر تدخل الأولى فى الشئون المصرية (٤٤٩-٤٤٨ ق. م).

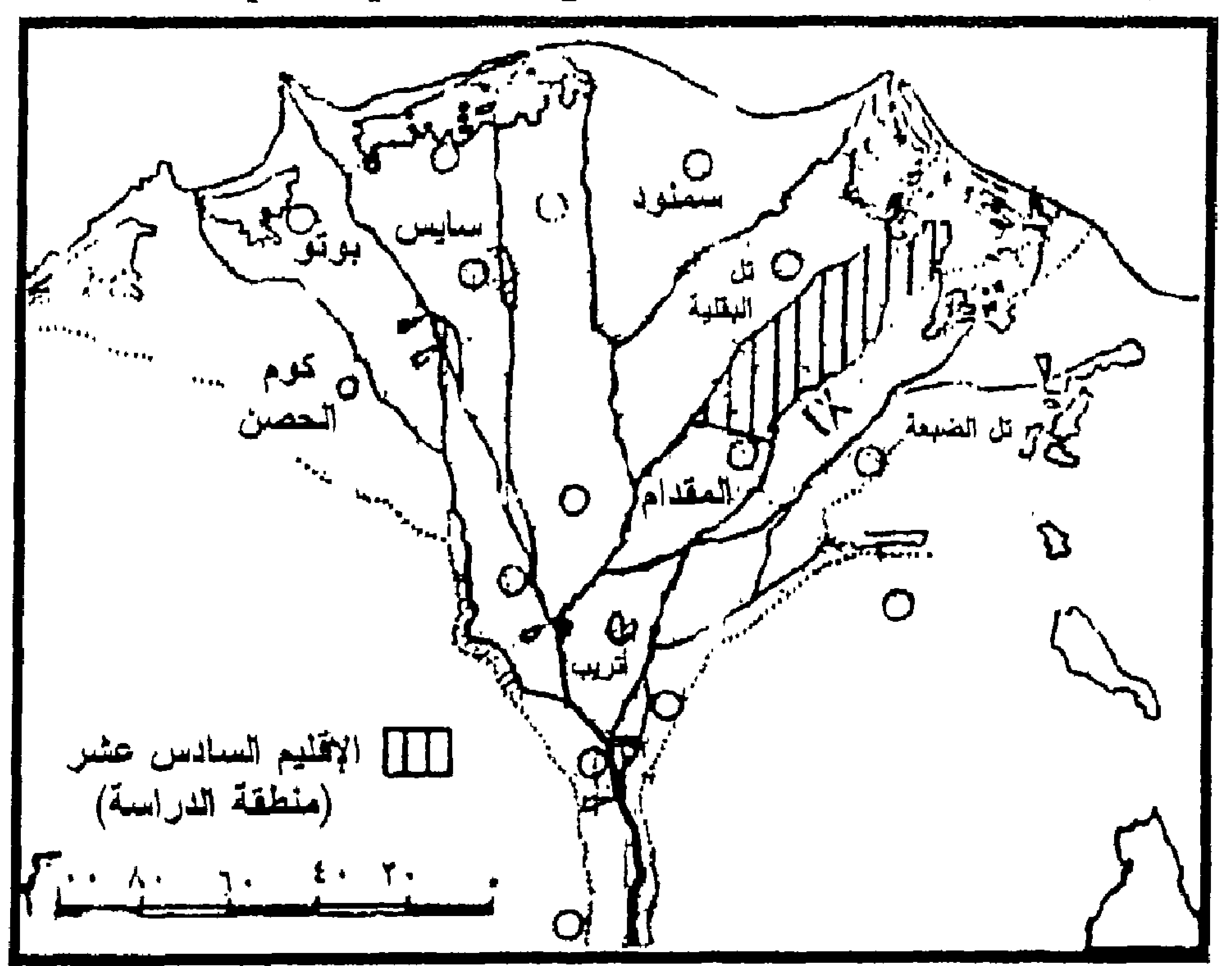
وقد ساد السلام مصر جميعها فيما عدا غرب الدلتا وقد قوبل بالترحاب الأجانب من كل البقاع وبخاصة اليونايين الذين اتسعت تجارتهم بحيث لم نعد نقراطيس أهلا للإحتفاظ بمركزها الاحتكارى وفقدت بذلك أهميتها الملحوظة وقد قام هيرودوت بعد عام ٤٥٠ ق. م بقليل بجولة فى مصر، ولئن كانت الدعاوى الملفقة بغير شك .التى تشير إلى أن فلاسفة القرن السادس أمثال "ثاليث" و "بيثاجوراس" قد اخذوا الكثير من حكمتهم

من مصر فإن هذا يدعونا لأن نرتاب كذلك فيما يتصل بـ"ديموقراطيس" الأبديرى و"أفلاطون" ولسنا نستطيع من ذلك إلا القول بأن البلاد كانت مفتوحة أمامهم. وقد نشأت من غير شك بعض الكراهية ضد الأجانب بل ربما حدثت ثورة صغيرة ضد الحكام الأجانب، ولكن الأمر في مصر"العليا بخاصة كان يتطلب اختلافات في الجنس والدين ليحيل أي قلق إلى اشتعال ثورة، وقد تم أمر مماثل لذلك في جزيرة اليفانتين في عام ٤١٠ ق.م. ذلك أن من كانوا يعبدون ياهو (اليهود) كانوا يعيشون ملاصقين لكهنة الإله خنوم ذي رأس الكبش وقد أفاد الكهنة الوطنيون من وجود الوالى أرساميس بعيدا فى الخارج ليقدموا رشوة للقائد المحلى فداراناج وكانت نتيجة لذلك هدم المعبد الهيهودي تماما، وقد عوقب فيداراناج ومع ذلك وقت طويل قبل أن يعاد بناء المعبد، وتشير البردية الآرامية التي تتناول هذا الأمر إلى شكوى أرسلت من باجواس رئيس الجالية اليهودية تلتمس إعادة البناء ويبدو أنها لقيت قبولا.

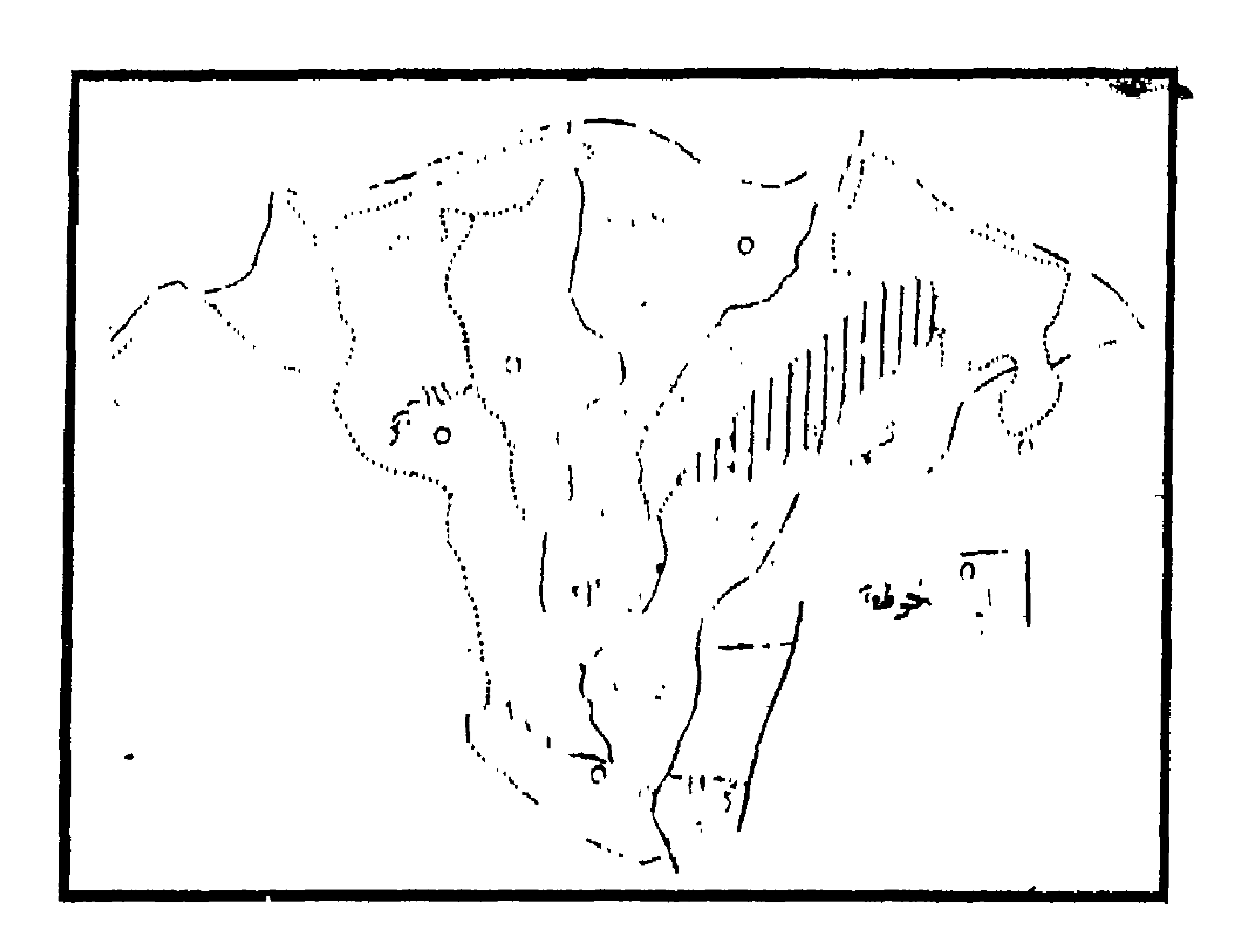
والسنوات الأربعون التي تنتهي بموت دارا الثاني في عام ٤٠٤ ق.م خالية تماما من أية إشارة تتصل بمصر، ولسنا نراها تدخل في خضم الأحداث حتى ولاية اكزركسيس الثاني حين تعاود الظهور على مسرح الشرق الأوسط، وينهى مانيتو عند هذه النقطة الأسرة السابعة والعشرين من الحكام الفرس ويجعل أسرته الثامنة والعشرين تحوى ملكا واحدا هو أمير تايوس الساوى.



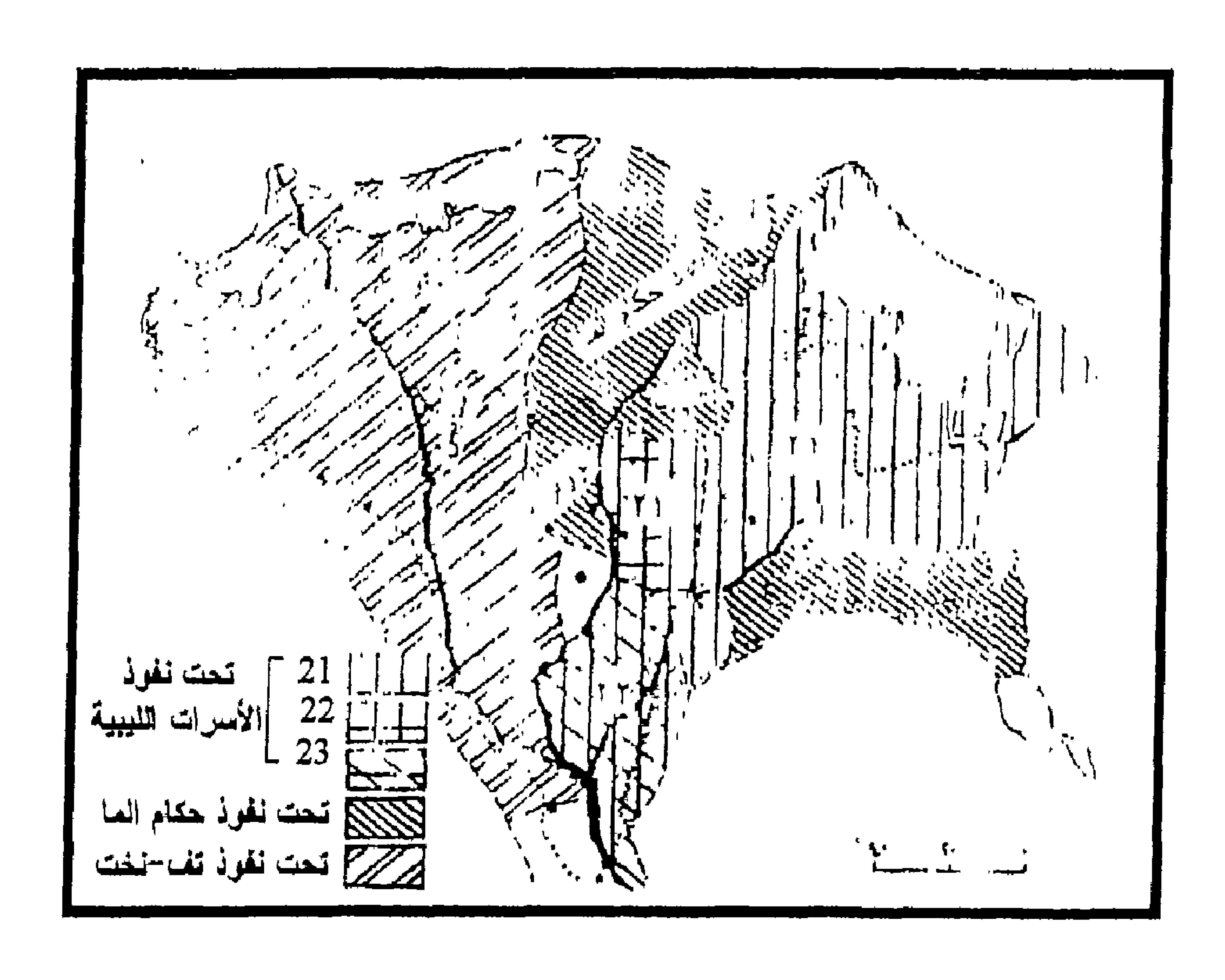
المصدر: Helck, W., op.cit, p. 206, fig. 6.

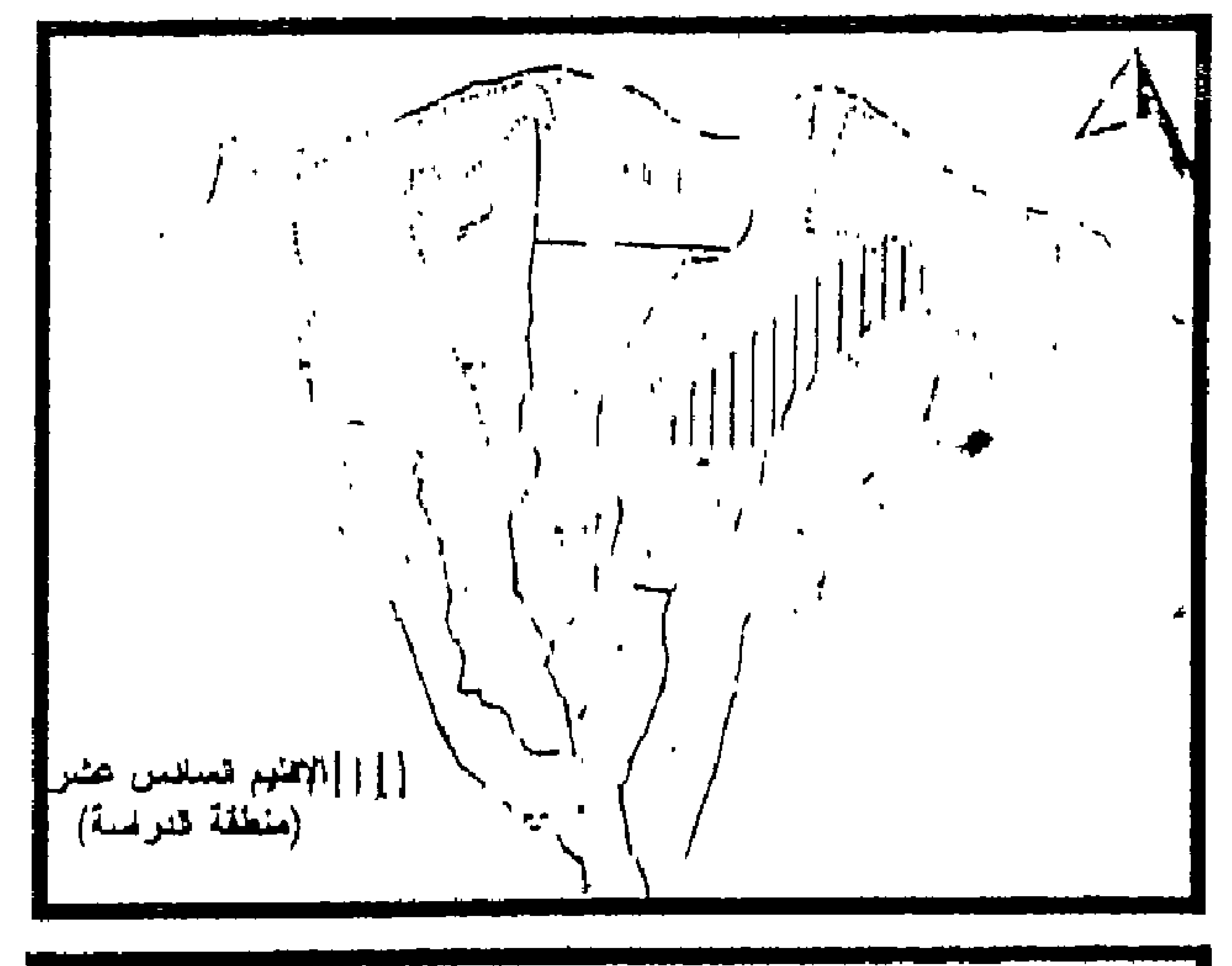


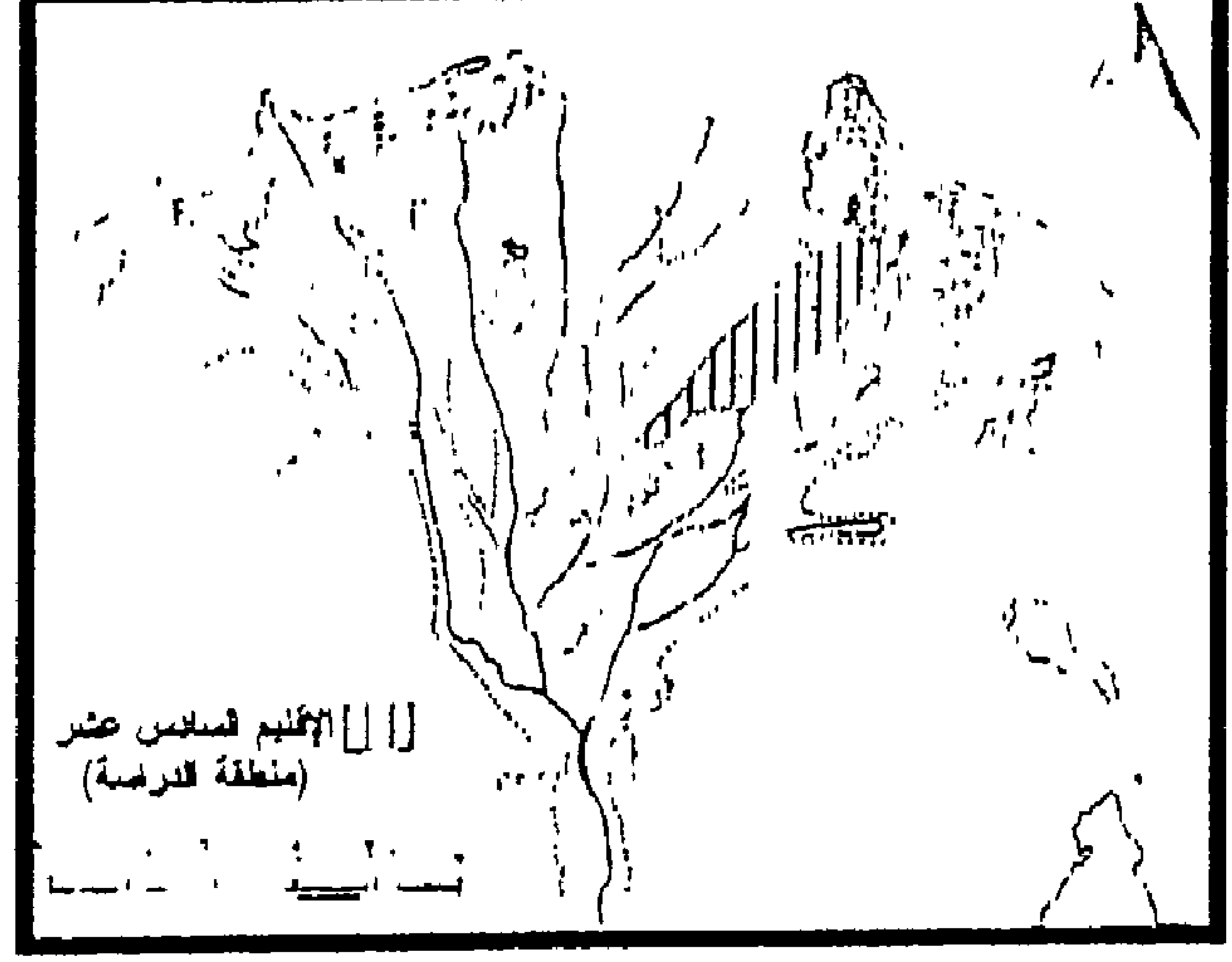
المصدر: Bietak, M., op.cit, p. 161, fig. 33.

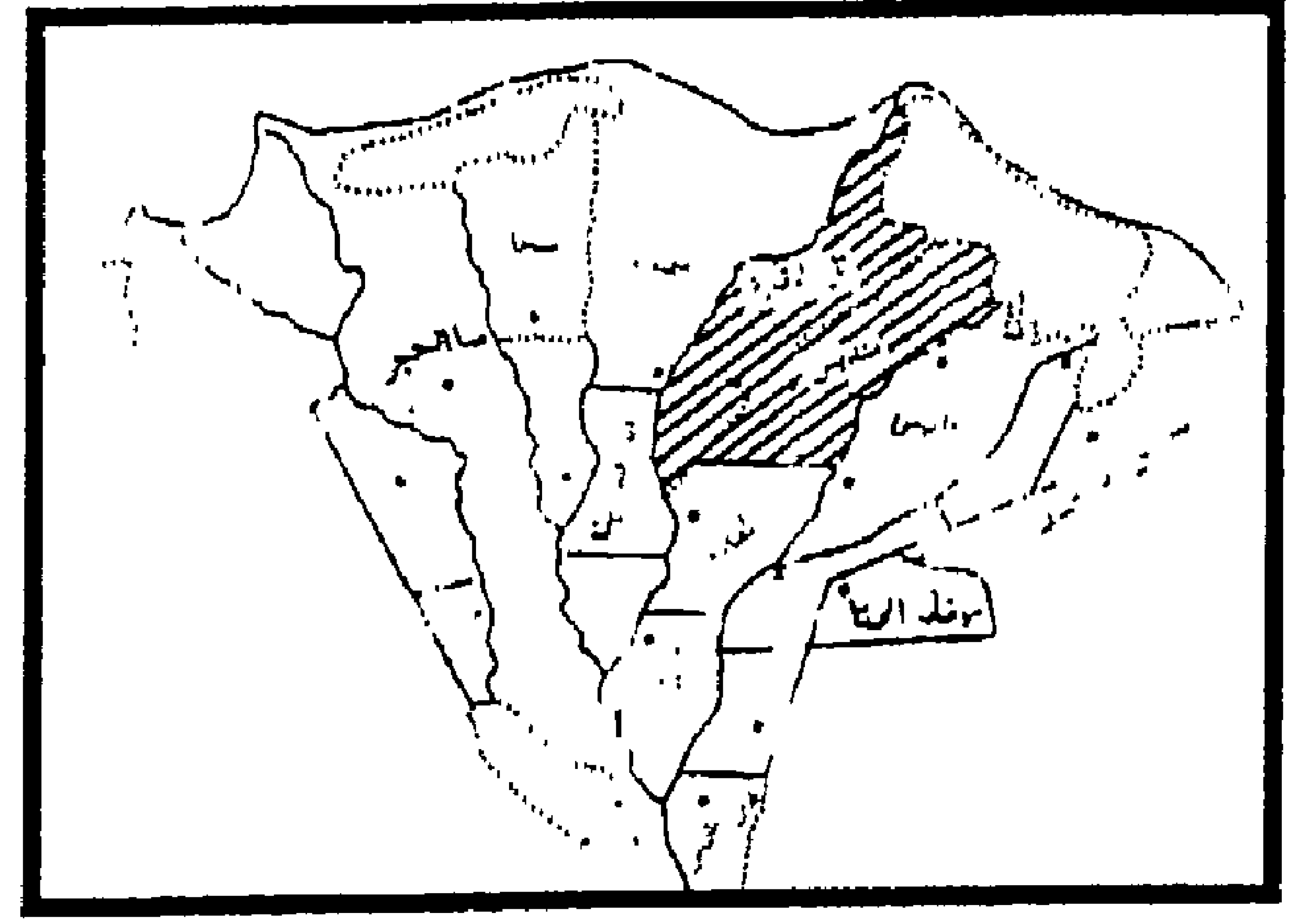


المصدر: Helck, W., op.cit, p. 206, fig. 6.









أقاليم الدلتا في عصر الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة والعشرون

أمير تايوس يحتمل أنه كان من أقرباء أميرتايوس الذي حمل من قبل لواء الصراع الذي بدأه إيناروس بعد أن قبض أعداء الأخير عليه، ويشير المؤرخون إلى الفرعون الجديد إشارة تحتمل الشك في "ديودورس". وهو عهدتنا هناك- يطلق عليه خطأ "بسماتيك "من نسل بسامتكوس المشهور وتشير القصة هناك إلى أنه بعد معركة سيناكسا (٤٠١ ق.م) التي هزم فيها الأمير المتمرد كيروش ثم قتل، وهرب صديقه القائد البحري تاموس- الذى كان قد غينه حاكما على أيونيا- إلى مصر فرارا من انتقام والى اكرزكسيس الثاني المدعو تسافرينس، وقد نقل معه كل سفنه ولكن أميرتايوس -إن كان هو بسمتكوس الذي يشير إليه ديودورس- قتل تاموس، وتشير رواية مصرية من العصر المتأخر أن أميرتايوس اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن أجل ذلك لم يسمح لابنه أن يخلفه ويلاحظ أن الاعتقاد بأن النجاح فى الدنيا والسلوك القويم مرتبطان بعضهما ببعض أوثق ارتباط يلقي صدى في تلك البردية السرية العجيبة التي تحمل تسمية غير دقيقة هى "الأخبار" الديموطيقية، وهى البردية نفسها التى عرفنا منها أمر إسترداد "قمبيز" للمنح التي كان قد وهبها للمعابد وكذا أمر دارا بتسجيل قوانين البلاد كتابة وعلى خليط من تواريخ تقاويم وأعياد وإشارات جغرافية ربما لا تكون لها قيمة أو معنى بالنسب لنا بغير ما تعنيه أو تشير إليه من تنبؤات تصحب كل فقرة

وهى ذات أهمية تاريخية كبيرة بقدر ما تشير إليه فى تتابع سـليم إلـى مجموعتين من الملوك "جاءوا بعد الميديين" (أى بعد الفرس) من أمـير تايوس حتى تيوس، ثانى ملوك الأسرة الثلاثين طبقا لمانيتو ويزعم النص بهذه الصورة إيجاد صلة سببية ونتيجة في السلوك الذى يتسم بالفضيلـة وببن الحياة الناجحة على الأرض وهو من ثمار تفكير كهانه القرن الثاني قبل الميلاد.

ويشير مانيتو إلى أن أميز أميرتايوس حكم ست مرات وربما كان هذا صحيحا مادامت البردية الآرامية من إلفنتين تشير إلى وعـد بسـداد أحد الديون مؤرخ بالعام الخامس له، ولسنا نجد إشارة له بعد ذلك إلا في خطاب من المصدر نفسه يذكر اسمه في اتصال وثيق باسم نفريتس خلفه المباشر.

ولسنا نجد له آثارا خلفها.. وهكذا فإننا لا ندري كيف جاء إلـى العرش؟ وكيف فقده ؟.

ومن هذه المرحلة حتى غزو الاسكندر الأكبر في عام ٣٣٢ ق.م نجد أن الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن اسـتقلالها ضد إمبراطورية ظلت تتشبث بفكرة أنها ليست سوى إقليم ثائر- ولقـد كانت سياسة مصر هذه ناجحة فيما عدا فترة عشر سنوات قرب النهايـة وكانت هناك عقبة دائمة على أية حال هى المنافسة بين مختلـف عـائلا أمراء الدلتا.

الأسرة التاسعة والعشرون

وقد برزت الأسرة التاسعة والعشرون- طبقاً لمانيتو- (وآثارها منتشرة في مصر حتى طيبة جنوباً) من المدينة المشهورة منديس "تمي الأمديد" وهي تضم أربعة ملوك حكموا قرابة عشرين عام (٣٩٩- ٣٨٠ ق.م) وكان يحمل أول الملوك- كما يحمل آخرهم- اسم نفرتيس "نايف عاورود" وقد حكم نفرتيس الأول ست سنوات بينما لم يحكم نفرتيس الثاني سوى أربعة شهور، وهناك اختلاف بين قائمة مانيتو وبين "الأخبار الديموطيقية" يسبب ارتباكا بين بعض المهتمين بالدراسات المصرية ذلك أن مانيتو يضع أخوريس (وهو هكر (أكوريس) قبل بارسا (ابن موت) بينما تعكس البردية هذا الترتيب.

والحل المحتمل هنا هو أن العام الأول للملكين واحد ومن ثم فإن الرأيين صحيحان، وبارسا له أثر وحيد في الكرنك نقش عليها اسم "أخوريس" والذي حكم عاما واحدا بينما نجد لـ "أخوريس" عشر عاما ولئن كنا أطلنا بعض الشيء بالنسبة لهؤلاء الفراعين غير الهامين فإن ذلك بسبب ما ذكرته "الأخبار الديموطيقية" من ناحية الإحكام الخلقية التي سلفت الإشارة غليها وذلك لأنها تعكس بالتأكيد تاريخاً صحيحاً. وهكذا فإنه يقال عن أخوريس أنه استطاع أن يبلغ هذا المدى من الحكم "لأنه كان

كريما بالنسبة للمعابد" ولكنه "خلع لأنه خالف القانون ولم يكترث بإخوانه"[1].

ونحن ندين للمصادر اليونانية بمعلومات أقل إبهاما فنعرف من اكسنفون أن فارس جمعت جيشاً قوياً في فينيقيا كان الهدف منه من غير شك إخضاع مصر ولكن المشروع لم يتحقق بسبب مغامرة كيروش الخطرة التي لم تكلل بالنجاح وكان من أثر ذلك أن وجدت المدن اليونانية في آسيا الصغرى، التي ظاهرته- نفسها في خطر محقق، وقد خرجت أسبارطة- وإن كانت تحس بعظم ما هي مدينة به لكيروش- لإنقاذها بانضمامها إلى مواطنيها الذين كانوا لا يزالون شديدي البأس (٤٠٠ ق.م) وقد استغرق الصراع عشر سنوات وسعت أسبارطة في ٣٩٦ ق.م للتحالف مع مصر وسرعان ما لبت مصر النداء ويرى ديودورس أن المصري نفريوس (أي نفرتيس الأول) استجاب إلى دعوة الملك الإسبارطي اجسيلاوس بأن وضع تحت تصرفه نصف مليون مكيالا من الحبوب ومائة سفينة من ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف، وقد اشترط أن يحضر لأخذ هذه المنحة الطيبة الأسطول الإسبرطي، ولكن قبل أن يصل الأسطول الإسبرطي إلى رودس كانت تلك الجزيرة قد سقطت في أيدي الفرس وهكذا فإن قائدهم البحري كونون الأثيني استطاع أن يستحوذ على كل ما أسهمت به مصر.

(١) آلان جلردنر: المرجع السابق.

ولم يمض سوى قليل حتى اعتلى أخوريس العرش (٣٩٣ ق.م) وأدرك أن الحلف مع إسباطة أثبت عدم جدواه فتطلع إلى السعي وراء عون آخر وجده في عقد معاهدة مع إيفاجوراس الملك القوي الطموح في سلاميس في قبرص الذي كان قد استطاع قبل ذلك أن يجعل من نفسه سيدا على الكثير من المدن الأخرى في الجزيرة- وكان ايفاجوراس صديقاً للقائد البحري كونون ومن ثم فإن الارتباط به يحمل في ثناياه المباشر بأثينا، وكانت الحرب وقت ذاك قد أجهدت كلا من فارس، وأسبرطة وتم معاهدة صلحِ انتاكيداس في عام ٣٨٦ ق.م أطلقت بمقتضاها في يد فارس كل المدن اليونانية في آسيا الصغرى مقابل الحكم الذاتي المستقل في كل الولايات الهللينية الأخرى. وكان من أثر ذلك أن وجد أخوريس وايفاجوراس نفسيهما وحيدين، كما وجد ارتكزركسيس نفسه حراً في التعامل مع من يشاء، وكانت مصر أول من هاجم، وكانت قد أصبحت إذ ذلك قوية وغنية، وترك خبرياس- من خيرة قادة العصر- أثينا ليدخل في خدمة أخوريس ولسنا نعرف سوى القليل عن هذه الحرب فيما عدا أنها امتدت حتى عام (٣٨٣ ق.م) وقد أثبت ايفاجوراس قدرته على مد يد العون فتحرك بجيوشه إلى معسكر العدو واستولى على صور وبضعة مدن فينيقية أخرى ولكن حظه تعثر فحوصر في مدينته سلاميس بعد أن هزم في معركة بحرية هامة وقد ظل يتحدى الفرس أكثر من عشر سنوات، وكان اختلاف الثوار فيما بينهم

مما جعلهم يقبلون خضوعه علـــى أســس مشــرفة (٣٨٠ ق.م) وبعــد أن قضى وقتاً طويلاً كتــابع مخلــص للملــك الفارســي راح فريســة مؤامرة، ولئن صدقنا ما جاء فــي "الأخبــار الديموطيقيــة فــإن ســوء الطالع، أصاب أخوريس في النهايــة ذلــك أنــه بعــد حكــم نفرتيــس الثاني مدى أربعة شهور انتقلت الملكية إلى يــد قــائد مــن ســبنيتوس (سمنود) وتضم الأســرة الثلاثــون – طبقــاً لمــانيتو– ثلاثــة ملــوك يتشابه اسم الأول والأخير منهم وهم: نخــت نــب إف (نختنبــو "خــبر كارع") أو نقتانبوس كما سماه الإغريق. ثــم الملــك "جدحــر" والملــك الأخير في ألسرة (نخت حرحب" نختنبــو الثــاني (ســنجم إيــب رع)، ولقد أصبح من المؤكد اليوم رغم ما أثــار مــن قبــل مــن اختــلاف حول أسبقية أحدهما على الآخـــر أن أســبقهما لولايــة العــرش هــو نختنبو الأول وقد تترك كثرة إثـــارة التــي خلفــها فكــرة عــن ســلم متصل ومتقــدم.

وقد قام بتشييد أقدم المباني في فيلة وقد خلد ذكـــراه فــي ادفــو ما منحه من أرض كثيرة لمعبد حورس، وهنـــاك لوحــة كبــيرة فــي الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) تســجل الإضافــات الضخمــة لمعبــد الآلهة الموجودة في هذه المدينة وقيامه بترميم القديـــم منــها، كمــا أن هناك نقشا مكتوبا في عناية ودقة عـــثر عليــه فــي نقراطيــس يخلــد فرض ١٠% ضريبــة علــى الــواردات إلــى هــذه المدينــة وعلــى البضائع التي تصنع بها وإن يخصــص الإيــراد مــن هــذه الضريبــة للآلهة ليت في سايس. ولكن هناك قصــة تختلــف تمامــا يقدمــها لنــا

المؤرخون اليونانيون الذين يعد ديودوروس مرة أخرى أول ممثليهم في هذا الصدد يذكر أن ارتكزركسس الثاني (٤٠٤-٣٥٨ ق.م) كان لا يزال يحكم في فارس وإنه كان لا يزال على تصميمه من ناحية إذلال مصر بإرجاعها إلى حالة التبعية السابقة. وعلى أية حال فإن استعداداته للغزو كانت تتقدم في بطئ شديد، وقد أصر في أول الأمر على أن تستدعى أثينا قائدها القوي "خبرياش" من مصر وقد قنع بعد ذلك بأن يشغل وظيفة حربية في بلاده، وقد ظلت الأمور كذلك حتى كان عام ٣٧٣ ق.م. حين خرجت الجحافل الفارسية الضخمة ويقودها الوالي فارنابازوس وقائد اليونانيين المتطوعين ايفكيراتس من عكا. وحين وصلوا إلى بلوزيوم أدركوا أن الهجوم من هذه الناحية لا طائل من ورائه وأن واحداً من مصبات النيل الأقل تحصيناً قد يؤدى إلى الهدف المطلوب"، وقد استقر الرأي على ذلك وأمكن كسر الاستحكامات على الفرع المنديسي، وقتل الكثير من المصريين أو أسروا، وعمل ايفيكراتس وكان ذلك ضد رغبة فارنابازوس على الاندفاع نحو منف، بينما كان الصراع بين القائدين يؤخر الجهد الفارسي واستطاعت قوات نخب نب اف أن تلم شملها وأن تحيط الغزاة المحاصرين من جميع النواحي، وجاء فيضان النيل حليفاً مسعداً فتحولت بعض أجزاء الدلتا إلى مستنقعات مما اضطر الفرس إلى الانسحاب وهكذا أفلتت مصر[٢].

---

(٢) آلان جاردنر: المرجع السابق، ص ٤٠٦.

وقد تميزت السنوات التالية بحركات تمرد من جميع الولاة في كل الأنحاء واستطاع خلالها "نخب نب اف" أن يؤمن نفسه بالعطايا من الذهب يمنحها لمختلف المحاربين، وقد خلفه عند موته عام ٣٦٣ ق.م ابنه "جنحر" تيوس (تاخوس كما يسميه بعض الكتاب اليونانيون)، وكان والد نخب نب اف يحمل الاسم نفسه، ويبدو أن الوقت كان مناسبا لهجوم مباشر على الفرس، ووصل الملك الإسبرطي العجوز اجيسلاوس إلى مصر يصحبه ألف جندي مدججون بالسلاح حيث لحق به الأثيني خبرياس، وقد أصر تيوس في الهجوم على فينيقيا، الذي تلا ذلك (٣٦٠ ق.م) أن يتولى قيادة جنده من المصريين وقد أغضب اجيسلاوس ما أظهرته هيئته العجيبة وتصرفاته من إثارة للضحك، لكن "جدحر" تعرض لخيانة من داخل بيته في مصر حيث انقلب عليه أخيه وأشعل الثورة ضده في الداخل كما استدعى ابنه ليقود الثورة على عمه مما اضطر "جدحر" للهرب وطلب اللجوء إلى فارس حيث عاش ومات هناك في المنفى، بينما تولى العرش في مصر نخت حرحب (نختنبو الثاني).

ولئن نظرنا إلى الأمور من وجهة النظر المصرية نجد أن حكم نخت حرحب (٣٦٠- ٣٤٣ ق.م) يكاد يبدو مطابقا لحكم نخب نب أف، فلقد حاكم كل منهما مدى ثمانية عشر عاما، وكان نشاط كل منهما البناء الضخم، ولكن كانت هناك في الوقت نفسه أحداث تكاد تهز العالم في حيز الغيب، ثم بدأت تدب حياة جديدة

في كيان الإمبراطورية الفارسية المهتزة بولاية ارتكزركسيس الثالث أوخوس (٣٥٨ ق.م) فأعيد النظام بين ولاة آسيا الصغرى ولكن النشاط المطلوب لهذا الجهد حال دون التفكير في أي هجوم على مصر ومع ذلك فإن أوخوس أصبح مستعدا لذلك الأمر في عام ٣٥٠ ق.م، وليست لدينا تفصيلات عن ذلك ولكن الحرب انتهت بفشل ذريع كان من نتيجته أن قاما الثورات ضد الاحتلال الفارسي في كل مكان وكانت فينيقيا وقبرص في مقدمة الثائرين وكان الجند اليونانيين قبل ذلك بزمن طويل هم العماد الأكبر للطرفين ولكن مصر كانت أهم ما يتطلعون غليه بسبب الذهب والحبوب التي كانت تستطيع أن تقدمها في وفرة ومن ثم كان إعادة إخضاعها أمراً بالغ الضرورة، ومع ذلك فإن كان يجب الانتهاء أولا من فينيقيا وفلسطين، وكانت صيدا هي مركز الثورة وكانت قد قامت بما يدعو لأخذ الثأر حين وجهت ضربة عنيفة للمحتلين الفرس وخشى الصيدونيون مغبة الأمر فالتمسوا عون مصر، ولكن "نخت حرحب" (نختبنو الثاني) قنع بإرسال فرقة محدودة من اليونانيين تحت قيادة أحد اليونانيين، ويذكر ديودور أحداث السنوات القليلة التالية في تفصيل سنوجزه هنا: كانت استعدادات أوخوس على نطاق واسع، ولكنه استطاع حتى قبل وصول القوات الضرورية جدا من المدن اليونانية في اليونان وآسيا الصغرى أن يوقع عقوبة فظيعة على صيدا التي تآمر مليكها الخائن "تنس" مع منشور لتسليم المدينة بينما احرق

المواطنون سفنهم كما فضل الكثيرون أن ينتحروا محترقين في لهب بيوتهم.

وفي خريف ٣٤٣ ق.م خرج الجيش الفارسي في حملته الخطيرة ضد مصر وكان على رأسه الملك نفسه. وكانت بلوزيوم أول مدينة مصرية تعرضت للهجوم ولكنها قاومت مقاومة شديدة، وكان أوخوس قد وضع خطته على أية حال على أساس دخول الدلتا في الوقت نفسه من ثلاثة أماكن مختلفة وقد تم له الدخول بالقرب من أحد مصاب النيل الغربية وكان فصل الفيضان قد انتهى فلم يعد هناك خوف من أن تتكرر المأساة التي حدثت منذ ثلاثين عاما، وقد لازم النحس المدافعين منذ البداية فقد خرج متطوعوا اليونان تحت قيادة كلنياس الكوسي يهاجمون من القلعة المجاورة ولكنهم هزموا، أما هو فقتل واجتاح الرعب نخت حرج فبدلا من أن يثبت في مكانه تراجع إلى منف التي أعدها لمقاومة الحار، ولكن بلوزيوم كانت قد سقطت في الوقت نفسه واستسلمت حاميتها حين وعد بأنه سيعامل بالحسنى من يفعل ذلك وقد تكرر تأكيد هذا الوعد في كل مكان وسرعان ما جد المصريون واليونان في المنافسة في الأسبقية في الإفادة من مظهر الرحمة هذا، وأما الجيش الثالث تحت قيادة منتور صديق أوخوس الحميم وحليفه باجواس فقد وفق كذلك وكان استيلاء القوات المشتركة على بوباسطة حدثا هاما سرعان ما استسلمت بعده مدن أخرى في الدلتا وأصبحت مصر الآن تحترمة أوخوس وأدرك الفرعون عقم

الموقف فجمع ما استطاع جمعه من مقتنيات وارتحل جنوبا إلى أثيوبيا ولم يسمع عنه بعد ذلك، وهكذا استطاعت مهارة أوخوس الحربية وحنكته السياسية أن تعيد مصر إلى حظيرة فارس من جديد، ونحن نورد هنا نص ما رواه ديودوروس في هذا الصدد.

بعد أن استولى ارتكزركسيس على مصر ودمر أسوار معظم المدن الهامة استطاع أن ينهب المعابد وأن يجمع كمية كبيرة من الفضة والذهب وأن ينقل الوثائق المكتوبة من المعابد القديمة التي أعادها فيما بعد باجواس إلى الكهنة المصريين مقابل مبالغ ضخمة ثم كافأ بسخاء اليونانيين الذين صحبوه في حملته كلا بما يستحق ثم سرحهم إلى بلادهم وجعل من فرنداتس واليا على مصر وعاد بجيشه إلى بابل وهو يحمل مقتنيات وأسلاب بعد أن ذاعت شهرة انتصاراته.

وليس من شك في أن يد الغازي كانت ثقيلة على البلد المهزوم وأنا لنجد صدى العصر الوسيط الأول في "الأخبار الديموطيقية" ولكن ليس هناك من سند يجعلنا نصدق ما يروية الكتاب المتأخرون في نسبتهم إلى أخوس نفس اتهام انتهاك حرمة المقدسات الذي نسبوه من قبل إلى "قمبيز" فلقد كان هذا الملك الفارسي أعقل من أن يقدم على ذلك، ورغم ذلك فإنه لم يقدر لهذه القوة الضخمة أو الهيبة التي اكتسبها أن تعمر طويلا فقد دس له السم في عام ٣٣٨ ق.م صفيه باجواس ووضع في مكانه أنه الأصغر أرسيس الذي قتله باجواس أيضا بعد ذلك بعامين وقد

جلس على العرش من بعد ارس (ارسيس) أحد أقربائه دريوس الثالث كودومانوس وهو آخر الأخمينيين، وقد سارع بتسميم باجواس هذا المجرم المتسلط الذي لقي جزاءه ويعد دارا الثالث خاتمة الأسرة الحادية والثلاثين التي أضافها المؤرخون المتأخرون إلى أسرات مانيتو الثلاثين، وقد ظل حكمه على مصر اسميا مدى أربع سنوات وقد قدر للإمبراطورية الفارسية أن تختفي قبل أن تحل نهاية هذه السنوات الأربع، وبدأ هذا العالم القديم عصرا جديدا.

كان الحدث الضخم الذي قرر مصير مصر وحدد نوع حكوماتها خلال القرون الثلاثة التالية هو غزو الإسكندر الأكبر لها في عام ٣٣٢ ق.م. ولقد كان ظهور مقدونيا كقوة متسلطة على العالم أمراً بدئ في إدراكه منذ عام ٣٣٨ ق.م حين استطاع اليوناني (وهو أمر يحتمل الشك) فيليب الثاني أن يقضي على كل مقاومة بهزيمته أثينا ثم طيبة عند خيرونيا وتأسيس العصبة الهللينية التي كان عليها أن تلم شمل اليونانيين تحت إمرته، ولكن لم يستطع أحد إذ ذاك أن يتنبأ بالانتصارات الباهرة التي استطاعت خلال عشر سنوات أن تجعل من ابنه الصغير الإسكندر سيدا على العالم الشرقي كله بغير منازع- ويبدو أن الاسكندر نفسه كذلك لم يكن يدرك أهدافه تماما حتى غزا آسيا الصغرى واضطر دارا إلى الهرب في معركة إيسوس على بعد خمسة عشر ميلاً إلى شمال الأسكندرونة الحالية (٣٣٣ ق.م) وحتى هذه

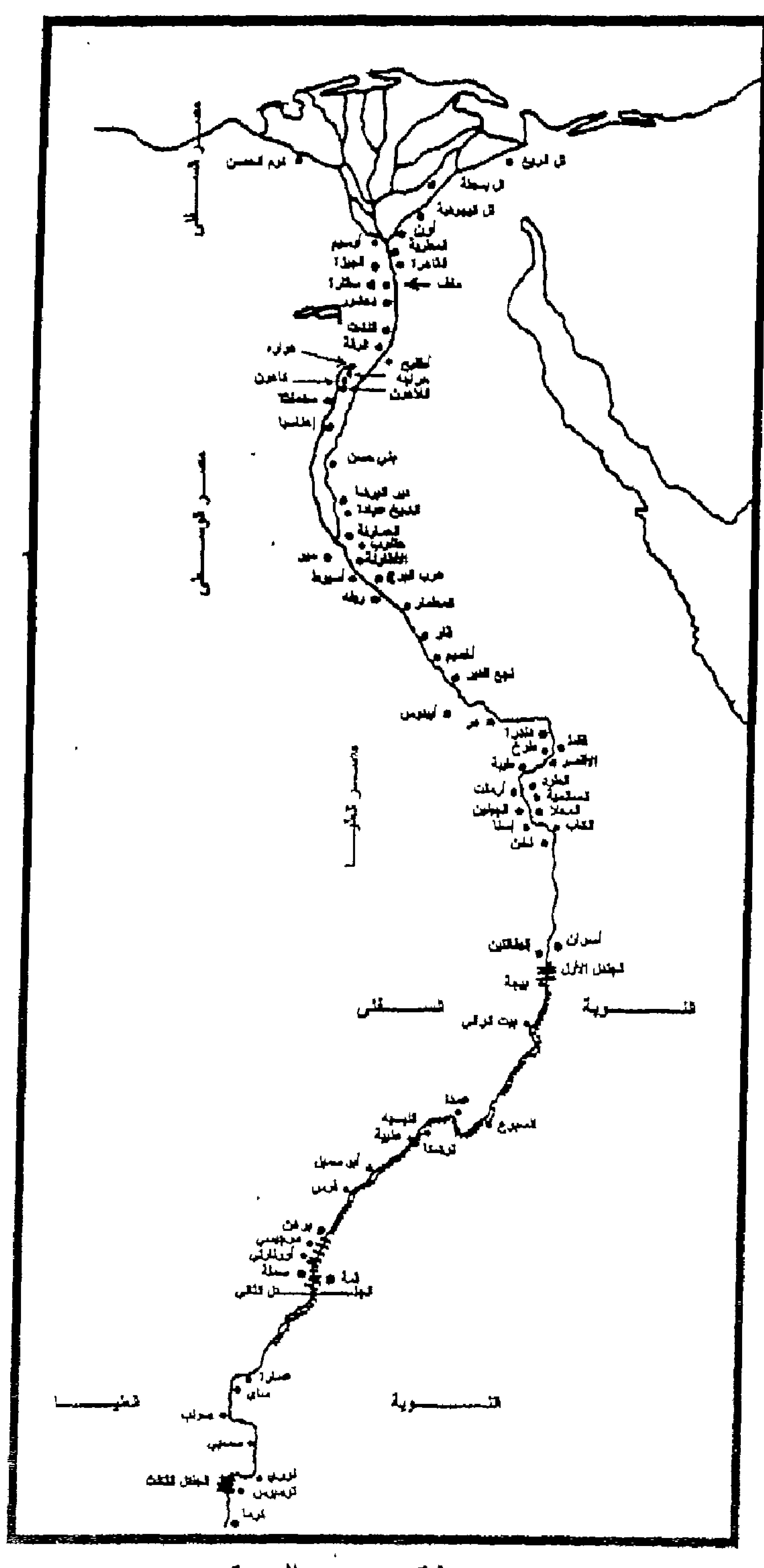
المرحلة لم يكن فكره يتجه في أول الأمر لمطاردة العاهل الفارسي بل لإخضاع سوريا ومصر. وكان حصار صور عملية طويلة مرهقة ولكن لم يكن هناك شيء يعوق مسيرته بعد التغلب على هذه العقبة حتى وصل إلى غزة التي قاومت في استماتة، وحين وصل إلى مصر في عام ٣٣٢ ق.م استسلم الوالي الفارسي دون مقاومة وأسرع الإسكندر جنوبا نحو منف وقدم التضحيات إلى العجل آبي حيث اعترف به فرعونا ثم عاد بعد ذلك إلى الشاطئ وهناك على شاطئ البحر المتوسط بالقرب من قرية تدعى راكوتيس قام بتخطيط بمدينة المستقبل العظيمة مدينة الإسكندرية قبل أن يبدأ زيارته المشهورة إلى واحة آمون في واحة سيوة. وليس ندري على وجه التحقيق إن كانت قد خطر ببال الإسكندر غذ ذاك فكرة محددة عن تأليهه ولكن هذا الأثر المهيب في حياته كان نتيجة محتومة للتراث المصري العتيق ذلك أن الفرعون كان بالضرورة إبناً لآمون ومن ثم فهو نفسه إله. وقد أطال الإسكندر مكثه في مصر بقدر ما مكنه من تعيين حكام وطنيين حتى يستطيع جمع الضرائب تحت إشراف مستشاره المالي "كليومنيس" (من نقراطيس) ومن تكوين جيش صغير تحت إمرة صديقه بطلميوس ثم سارع بعد ذلك للذهاب لتصفية الإمبراطورية الفارسية واستكشاف أقاليمها بعيداً عن الهند، وأما مصيره بعد ذلك فليس من اختصاصنا هنا في هذا الكتاب، ومهما يكن هناك من إغراء لمتابعة كفاح مثل هذا الإشعاع الذي لا نظير

له، ولقد سقط فريسة عام ٣٢٣ ق.م ومات هنـــاك فـي أحـد قصـور بابل ولم يكن قد بلغ بعد والثالثة والثلاثين مـن عمـره، قبـل أن يتـم عامه الثالث عشر من حكمـه[٣].

وبعد وفاة الإسكندر كانت مـن نصيـب أحـد قادتـه المسـمى "بطلميوس الأول" وبعد انتهاء فترة حكـم البطالمـة خضعـت مصـر للحكم الروماني حتى تم فتـح مصـر فـي القـرن السـابع الميـلادي وتمتعت بنعمة الإسـلام.

---

(٣) آلان جلردنر: المرجع السابق، ص ٤١٠-٤١١.



خريطة مصر والنوبة

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر العراق. إيران، بيروت، ١٩٨٩.
- رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول والثاني، القاهرة، ١٩٨٨.
- سليم حسن: مصر القديمة، الأجزاء ٨،٩،١٠،١١،١٢، القاهرة، ١٩٤٠-١٩٤٥.
- عبد الحليم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٩.
- دراسة في تاريخ وحضارة مصر القديمة
- عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦.
- عبد العزيز صالح: تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٨٠.
- عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر في العصور القديمة، الإسكندرية،
- محمد إبراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٨٣.
- محمد بيومي مهران: مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى السرة الحادية والثلاثين، ص٣، الإسكندرية، ١٩٨٨.

- محمد علي سعد الله: نهر النيل في الأدب المصري القديم، دراسة تاريخية وحضارية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

- قبرص بين السيادة المصرية والآشورية القديمة، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٨، المجلد الأول، سنة ٢٠٠٠.

ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية:

- آلان جاردنر: مصر الفراعنة، ترجمة نبيل ميخائيل، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٣.

- كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة ماهر جيويجاتي، ج٢، القاهرة، ١٩٨٤.

- ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٩٧.

- هردوت: يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، قدمها أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦.

- نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣.

- وولتر ايمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Bonhême, M.A., Les noms Royaux dans l'Egypte de la troisième péri d'intermédiaire, ***IFAO***, 1987.
- Brested, J.H., Ancient Records of Egypt, vol. IV, 1906-1907.
- Budge, W., The gods of the Egyptian, vol. III, New York 1909.
- __________, The Egyptian Sudan, London 1907.
- Dixon, D., "The origin of the Kingdom of Kush, Napata-Mere", ***JEA*** 9 , 1964.
- Dunham, D., The Royal Cemeteries of Kush, El-Kurru, Cambridge 1950.
- Gardiner, A., Late Egyptian Stories, Bruxelles, , ***BAe*** I, (1932).
- Gauthier, H., Le Livre de Rois d'Egypte, 17-21, 1907, 1917.
- El-Good, P., Late dynasties of Egypt, Oxford 1951.
- Kitchen, K.A., The Third Intermediate period in Egypt, Oxford 1972.
- Lloyd, A.B., "Necho and Red Sea", ***JEA*** 63, 1977.
- Luckenbill, D., ARAB.
- Moret, A., The Nile and Egyptian civilization, London 1972.
- Parker, R.A., King Py, A historical problem, ***ZÄS*** 93, 1966.
- Smith, S.M.A., Ashurbanibal and the fall of Assyria, ***CAH***, vol. III.
- Wainright, G.A., Alashia = Alasa and Asy, Leipzig 1915.
- White, M., Ancient Egypt, New York 1970.

